الكتاب الأول

حضن التابوت

قصص قصيرة

ماهر فرج بشاي

حضن التابوت

ماهر الدويرى

مقرر لجنة الكتاب الأول :

خيرى شلبى

مدير التحرير :

منتصر القفاش

المشرف الفنى :

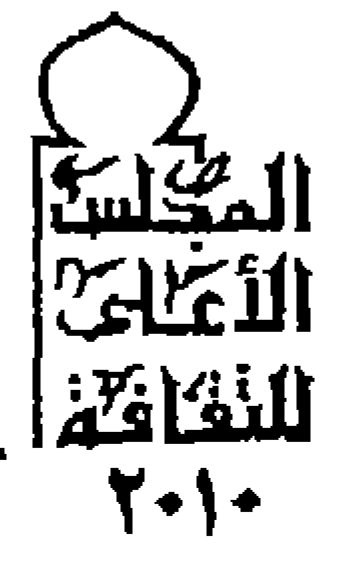
هشام نوار

الكتاب الأول
- ١٢٠ -

حضن التابوت

قصص

ماهر الدويرى



٢٠١٠

المجلس الأعلى للثقافة

الكتاب الأول

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

الدويرى ، ماهر .

حضن التابوت : قصص / ماهر الدويرى

القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط١ ، ٢٠١٠

١٦٠ ص، ٢٠ سم (الكتاب الأول ، ١٢٠)

١ - القصص العربية القصيرة .

(أ) العنوان ٨١٣,٠١

رقم الإيداع ١٤٧٨١ / ٢٠١٠

الترقيم الدولى I.S.B.N.978- 977-704-199-8

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التى تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هى اجتهادات أصحابها، ولا تُعبر بالضرورة عن رأى المجلس .

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo.

Tel. : 27352396 Fax : 27358084

www.scc.gov.eg

مقدمــــة

كان أجدادنا يسردون علينا حكايات وأساطير ونحن صغار . وإن كنا لانستوعب أحداثها ولا نعى مدلولها ، ولما كبرت سمعت قصصا ورأيت أحداثا عديدة وقرأت عن مآسى ، وقد هالنى ما يعانيه الإنسان من هذه الآلام .

فقد خلق الله الإنسان حراً ، ولكنه يقع أسير قيود وضعها البعض حوله وقد يساهم هو بدوره فى إحكامها ، وخلقه بريئاً ولكن سرعان ما تلوث البيئة بكل مظاهرها ومؤثراتها نفسه فيصبح كائنا آخر ضاعت معالمه الأصلية .

وقد يبدأ حياته قانعاً راضياً وحريصاً ولكن الأوضاع التى يوجد فيها لاتأبى إلا أن تنكد عليه حياته والأقدار تلاحقة فلا يجد لها مكانا .

ولأن الإنسان بطبيعته ابن بيئته ، فإن كل بيئة لاتخلو من أحداث معينة تنبع من صراع الإنسان بين واقعه الماثل أمامه وبين أحلامه التى تراوده فى منامه .

وشعرت أن تجارب الحياة ما أغربها وما أقساها وكأنها قد تتكرر في كل عصر وتتشابه فى كل مكان لافرق بين أحداثها وأشخاصها إلا فى الأماكن التي وقعت فيها والنفوس التى عانت منها .

إن بعض الناس قد يظنون أن المتاعب بعيدة عنهم ، وأنهم فى منأى عن أى مشكلة ، وآخرون يرون أن المتاعب تقتفى أثر خطواتهم .

وهناك من يرى السعادة فيما حوله من مال أو ثروة تكفيه أو منصب برتقيه أو عزوة أو نفوذ يحمية . وآخر يرى فى هذه الحياة غير ذلك ، فهى شقاء يجر وراءه شقاء ، وكأنها تضع رصيدنا من الآلام عنده .

ولكن الجميع يفوتهم أن أى شئ لايبقى على حاله ، فهم يغفلون تقلبات الزمن ولا يتوقعون ما يحدث من تغيرات .

هذا هو الإنسان حين ينطلق بكل طاقاته ليحقق أحلامه ، ولكن ما أتعسه حين يجد نفسه وقد وقع فى مأزق ، حينئذ يتمنى لورجع إلى الوراء إلى بداية الطريق ليعيد تقدير الأمور من جديد ، ولكن بعد فوات الأوان وعليه أن يواجه أقداره ، وفى كل الأحوال يحتاج الإنسان إلى رحمة الله الواسعة .

إن أغرب ما فى الحياة ، أن الإنسان لم يتعلم من الطبيعة ، فالعواصف حين تهب تجد الكائنات الحية قد استطاعت بغرائزها أن تواجه هذه العواصف بأساليب عديدة ، والفرار من غاراتها ولكن الإنسان بكل ما يملك من قدرات عقلية ووسائل مادية ، يعجز عن مواجهة هذه العواصف ، فنراها تدمر الطرق وتطيح بالبيوت .

فهل يعود الإنسان إلى الطبيعة ويعرف كيف يستمتع بها ، فالشمس للدفء ، والظلال للاحتماء ، والهواء للتنفس ، والزهور للتمتع بالجمال الصافى .

إن هذه القصص التى كتبتها ليست ترفا فكريا ، ولكنها صور من الواقع الاجتماعى التى لايخلو فيها أى مجتمع على ظهر الأرض .

وهى صدى لأوضاع أو أحداث لنماذج بشرية عاشت فى أماكن مختلفة وليست مجرد حكايات قد تكون موضوعاتها قريبة منا أو تدور منا أو تدور حولنا ، وإن كانت أبعد مما نحن فيه ، فى بلادنا أو جهات تفصل بينها أقاليم أو بحار أو محيطات وكان لنا لقاءات مع بعض أصحاب هذه القصص التى عاشت فى أعماقى ولم أستطع نسيانها ، وكان لنا تصورات خيالية من تراث الحياة البشرية فى الكتب التى تصور كفاح الإنسان في سعيه للحرية والعدالة وأيضا نصيبه من الحب وإثبات الذات .

إننى تناولت هذه القصص من منطلق إنسانى ، لأنها وقعت فى بيئات عديدة ووردت فيها أسماء لأشخاص من لغات مختلفة تتصل بالبلد أو المجتمع الذى حدثت فيه .

وعرفت شيئًا واحدًا ، أن ما يفعله الإنسان سواء بإرادته أو يقع فيه بالصدفة أو منساق إليه بغفلة العقل لن يمردون أثر .

إن العبرة فى هذه القصص وغيرها مما نراه فى واقع الحياة ، أنه لايوجد شيء يمردون جزاء سواء كان ثوابا أو عقابًا .

ماهر فرج بشاى الدويرى

الفكرة والخوف

فى جزيرة نائية ترقد على سطح المحيط ، يعيش فيها شعب منعزل عن تيار الحياة وتغير الزمن يحكم هذه الجزيرة إمبراطور ورث العرش أبًا عن جد فى فترات غير مقطوعة .

الناس راضون بهذه الأوضاع التى ولدوا وعاشوا فيها . هم يعيشون على خيرات هذه الجزيرة المحدودة ، طموحهم لايتعدى النظر إلى قصور الحكام فى الأقاليم . وما يسمعون عن القصر المنيف الذى يقيم فيه ذلك الإمبراطور المقدس . أنهم يسمعون عنه ولكنهم لم يسمعوا أن واحداً منهم رأى الإمبراطور فى حياته أو اقترب منه أو لمسه .

هذا الاعتقاد بدأ مع الزمن السحيق ، وراح ينمو مع مرور الأيام ويترسب فى أذهان الناس منذ طفولتهم ، فالطفل لديه استعداد لتقبل أى شىء مهما كان خاطئا .

شاع هذا الاعتقاد الذى رسخ فى نفوس العامة ، أما أعيان البلاد فهم لايضارون بقدر مايستفيدون وهذا جعل الإمبراطور يظن فى نفسه أنه ينحدر من سلالة تختلف عن سلالة مواطنية الذين يحكمهم ويتحكم فى حياتهم .

والأغرب من هذا ، ظهر تقليد لابد أن يتبع ، فكل مواطن يريد أن يقابل الإمبراطور لابد أن يخضع لطقوس معينة ، تنفذ خطوة خطوة حتى يصل إلى سدة العرش ، فالمواطن يكون حاسر الرأس ، ويصوم

ثلاثة أيام ، ومنذ أن يدلف من باب القصر يسير بظهره وليس بوجهه .... لأن الاعتقاد السائد لديهم أن كل إنسان يحاول أن يرى الإمبراطور يموت من شدة الشعاع الذى ينبعث من بشرته .... وكأنهم يتخيلون أى وجه هذا ، هل هو أقوى إشعاعًا من قرص الشمس ، وعلى مر السنين ، كان رجال الحاشية يروجون فى البلاد لهذه الفكرة من أدنى البلاد إلى أقصاها . فالطفل يرضع هذه الفكرة مع لبن أمه ، والتلميذ يقرأها فى الكتب ويراها فى عيون معلميه ، وينظر إليها المواطن فى مرآة المجتمع الذى يعيش فيه ، فى الطريق ، فى السوق ، فى الحقل ، فى المتجر . فالفكرة تنبت بدون أرض وتنمو بدون ماء أو هواء ، فالعقول فى أرضها والخوف هو نهرها وروحها ، والمجهول مناخ يمكن أن ينبت فيه أى شئ ، فالنبات يرضخ للمناخ راضيًا أو كارهًا .

وهذا هو سر الخضوع ، وكيف يستطيع فرد واحد أن يحكم شعبًا بهذه العصا السحرية إن بدا هذا صعبًا على المنطق العقلى ، إلا إنه واقع ملموس فى حياة البشر .

فالناس يرون أمورًا كثيرة تجرى أمام عيونهم ، البعض منها يدركونه بقليل من التفكير والفهم والبعض الآخر يستعصى على العقل .

ولعل الناس من ثقل أعمالهم وشفاء معايشهم لايريدون أن يصرفوا ما تبقى لهم من طاقة فى محاولة فهم الكثير مما يجرى حولهم .

فالحكمة لديهم تقتضى أن يرضوا بماهم فيه وأن تسير أقدامهم فى طريق الحياة الصعب الذى لايسع المزيد من العقبات .

ولكن إياسو الفتى الغض لم يقتنع الغرير بهذه الفكرة ، وهو لم ينكر وجودها ، ولكن شعوراً غامضًا سرى فى أعماقه تحول إلى هاجس يطرق خياله ليسأل :

هل وجه الإمبراطور له من السحر ما يمنع الناس من النظر إليه ، وإذا كان الإنسان يرى كل ظواهر الطبيعة مثل الشمس والنجوم والقمر والجبال والقفار والبحار ، فما الذى يمنعه أن يرى غيرها .

فى أحد الأقاليم فى الجزيزة كان هناك حاكم مستبد ، بأهل هذا الأقليم . هذا الحاكم يستغل جهود الأهل بطرق مختلفة ، ويبدد أوقاتهم ولايدعهم يستريحون ، ويقتسم دخولهم وله منها النصيب الأكبر ويجمد طموحهم ويجعلهم راضين عماهم فيه .

إن هذا الحاكم يدرك فى نفسه أن الإمبراطور أبعد من أن يسمع شكواهم ، وأن القصر أبعد من أن يعرفوه ، ولذلك زاد هو فى استبداده بقدر مازادت المسافة بين الإمبراطور والشعب .

وهو أيضا مطمئن من خنوعهم وهم مستسلمون ليأسهم ، ووقع ظلم شديد على أحد المواطنين فى القرية ، وكان لهذا المواطن ابن يدعى إياسو ، فهو شاب تعلم القراءة والكتابه منذ الصغر على يد أحد حكماء القرية ، استهوته المعرفة . الطبيعة أفضل معلم يخرج إلى النهر . يجلس

على الضفة ويتأمل فى أمواجه من أين تأتى وإلى أين تذهب ، يتأمل فى المساء فى السماء فيرى الأفلاك كُلّ يسير فى نظام ، ناموس يحكم الطبيعة ، لاقصور ، لاتعدى ، لافوضى ، فالعمل أساس الحياة ، فالطبيعة كلها تعمل والعدالة أساس العمل كل يأخذ بقدر جهده ، والشكوى أساس العدالة لاداعى للخضوع للظلم . لم يخبر والديه وصمم على تقديم شكواه للإمبراطور نفسه . وفى يوم ما رحل إياسو من قريته وسافر صوب العاصمة . قطع الأميال عبر الطرق والشعاب ، وكل همه عرض شكوى قريته على الإمبراطور ، كان السفر طويلا وشاقا ، وكان الطريق موحشًا . أشجار كثيفة تلقى بظلالها على الأرض وكأنها ترسم بفروعها ما يعانيه الناس من أمور غير مفهومه . جداول المياه تتسرب فى هدوء تعطى انطباعًا بأن الحياة لايمكن أن تتوقف . يجلس على صخرة ، ويسند ظهره على جذع شجرة . إن الطبيعة تعطى الإنسان كل حاجته .

وكلما رأى مدينة راح يسأل أين قصر الإمبراطور ، ولكن أهل المكان يخبرونه بأن مدينة الإمبراطور أبعد من ذلك .

وأصل إياسو السير ، أنه يريد الوصول إلى العاصمة ، وما إن اقترب من العاصمة هاله المنظر من بعيد ، وقف عند اطرافها . عرفها لأن أناسا كثيرين داخلين وخارجين منها . ولكنه اندهش حين رأى الناس وهم خارجون ، البعض علت على وجوههم ابتسامات ، والبعض إكفهرت وجوههم . ولكن فضوله دفعه لأن يسأل ما سر هذا ، فعرف أن البعض قضوا مصالحهم والبعض خابت آمالهم .

ولكن هذا لم يمنعه من أن يدخل المدينة فى ثقة . راح يسأل المارة عن قصر الإمبراطور ، الدهشة علت الوجوه ، هذا الغريب أول ما يسأل يسأل عن القصر المقدس . لاكلام ، لا إشارة ، لا إجابة ، الناس هنا يسيرون ولايتكلمون . صمت غريب . يشعر من نظراتهم إليه أن سؤاله أغرب مايكون ، اكتفى بصمت الناس ، وواصل سيره .

إن القصر سوف يعلن عن نفسه فهو أفخم المبانى فى المدينة . رآه واقترب منه .

هاله هذا السور العظيم الذى يحيط به من كل جانب . إنه حاجز ضخم من الصعب التسلق عليه . للقصر باب ضخم ولكنه مغلق . الباب يبعث على اليأس ، كيف يدخل .

الحراس على الجانبين . كل واحد متقلد بسيفه . من يجرؤ على الاقتراب من الباب . منظر رهيب شعر بالخوف .

لم يجد وسيلة غير أن يرفع راية بيضاء من منديل على عصاه ويداه تهتزان وأخذ يلوح بها . لمحه كبير الحراس ، جالس على منصة عالية . أشار إليه بالتقدم . أخذ إياسو يجر قدميه ، وكأنه مُهر يجر عربة تحمل أحجارًا ، تقدم نحو كبير الحراس ، انحنى أمامه ليس تبجيلاً فحسب ، ولكن من شدة الإعياء أيضًا . لم يستطع أن يرفع رأسه . أصبحت رأسه أثقل مما يحتملها جسمه الصغير . وقف صامتًا ....

سأله كبير الحراس ماذا يريد ؟

أجاب إياسو فى ثقة وهو يتمالك نفسه :

إننى أريد مقابلة الإمبراطور لكى أعرض عليه شكوى قريتى .

قال كبير الحراس فى دهشة :

- تريد مقابلة الإمبراطور مرة واحدة أيها الفتى .

قا إياسو :

نعم ياسيدى . هذه رغبتى التى أتيت من أجلها ، التفت إليه كبير الحراس ، وقال له فى حدة ممزوجة بالإشفاق عليه :

- أتعرف من تريد أن تقابله ؟

قال الفتى وكأن الأمر مألوف لديه :

- أعرف تماماً . جلالة الإمبراطور .

قال كبير الحراس :

- أتعرف من هو ؟

قال الفتى وقد استرجع ما عرفه في الكتب :

- إنه ابن الشمس .

قال كبير الحراس :

- يوجد صندوق موضوع فى الميدان أمام يضع فيها أى إنسان شكواه أو طلبه .

قال إياسو وكأنه يعلم بكل شئ :

– حسنًا ياسيدى . أنا أعرف هذا . ولكننى قطعت مسافة طويلة لكى أضع شكواى أمام الإمبراطور نفسه . ولما رأى كبير الحراس إصرار إياسو على موقفه . أراد أن يتبرر من ذنبه ، وقال له محذرًا :

– إياك أن تحاول رؤية وجه الإمبراطور .

سأل الفتى فى استحياء :

وماذا يحدث ياسيدى ؟

أجاب كبير الحراس فى حزم :

قبل أن تخرج نظراتك من عينيك ينقض سيف على عنقك . أنت غض صغير لم تعرف سيفًا ولم تجربه . بعد ذلك دلف كبير الحراس إلى داخل القصر ليعرض الأمر على أمين القصر ليحدد موعد المقابلة .،

وفى هذه الفترة راح إياسو يفكر فى هذا الموقف . ماذا يفعل حين يدعى لمقابلة جلالة الإمبراطور . هل هو يسير إليه بظهره ووجهه إلى الخارج ، موقف مثير يحتاج إلى تمرين كأى إنسان لايعرف العوم وينزل إلى البحر ، ولكن عليه أن يحاول ويحتفظ بتوازنه ويمسك نفسه وإلا وقع فى المحظور .

هذا هو قصر الإمبراطور . فهو من الضخامة يتضاءل أمامه أعظم بيوت الأعيان ، فما بالك بأكواخ عامة الشعب .

فالقصر عالٍ وقد علته أشكال زاهية من القباب تستظل بالسحاب .

والنوافذ يشع فيها ومضات من الأضواء لايعرف من أى ركن تنبعث .

والأبواب واسعة كأنها توحى بأنه يمكن أن يدلف منها الناس زرافات لا أفراداً .

ماهذا الذى يراه ، منظر يبهر عينيه ... كيف ارتفع هذا البناء ، ومن الذى بناه ، وما قدر المال الذى أنفق على تشييده . وفى تقديره أن قيمته تساوى أكثر من قيمة قريته كلها .

وهل يشغل الإمبراطور وأسرته جميع حجراته ، أم أن هناك حجرات خالية تنتظر من يسكنها . شرد بذهنه بعيداً . هل هذا القصر فيه ما يجعله يترفق بكوخ أسرته ، وهل ساكنه عنده ما يحمله على أن يحنو على حاله ويصغى إلى شكواه . ولكنه نقض أفكاره ، حتى لاتحوم حول الواقع مثل الفراشات التى تحوم حول المصابيح ، أو لعلها هربت بعيداً كالغزلان الشاردة عندما سمع وقع أقدام ثقيلة .

أقبل كبير الحراس وأماء إلى إياسو بالدخول ، وأشار إليه أن يسير من ورائه .

ولما وصلا إلى مدخل البهو أمره أن يسير مثله على ظهره فى خطوات فى تؤدة وخشوع . راح إياسو تقوده قدماه فى ثبات ، وإن كان يشعر بهما ، والذهن شارد يداعبه الخيال الذى يطرق عقله بأفكار شتى .

مـاذا يكون شكل الإمبـراطور ؟ مـا هـى صـورتـه ؟ لونه . حـجـمـه . عيناه . يداه . تاجـه . صـولجانه . هل هو إنسـان مثل بـاقى البشـر ، أم كائن خرافى لا وجود له :

قدماه تأكلان الخطوات . عقله يجتر الأفكار . الحراس مصطفون على الجانبين فى نسق واحد . الزى متماثل . الوجوه متشابهة . الأنوف مرفوعة . السيوف مشهورة . المنظر يخفى وراءه الرعب المجهول . عثرة واحدة قد يكون فيها نهاية المرء . الفتى يختلس بعض النظرات بقفاه . شئ من الخيال ولاالحرمان من الواقع . تجربة مثيرة ولكنها مخيفة . يترك الظلم ويجد أمامه الخوف .

عندما اقترب من منصة العرش ، أصدر كبير الحراس أمره للفتى بالوقوف . تسمرت قدما الفتى . انحنى كبير الحراس جانبًا . السكون خيم على البهو . الإمبراطور متربع على كرسى العرش كأنه تمثال من الصخر على قاعدة من الرخام .

الفتى أسير هذه الوقفة الرهيبة مكّبل بلا قيود . السيّاف متصلب ويده على مقبض سيفه .

شعا ع الشموع والمشاعل يداعب ظلال الحاضرين . نسمات الهواء تختلط بالأنفاس .

نسى إياسو نفسه وتغاضى عن شكوى قريته ،أصابته رغبة محمومة فى أن يرى وجه الإمبراطور ،هل هو وجه إنسان أم شئ آخر ؟

وقال فى نفسه :

ماذا يحدث لو أننى نظرت إليه ؟

وشعر الفتى أنه مقدم على عملية انتحار .

إن الانتحار يراه الشخص فضيلة ، ولكن المجتمع يراه ذنباً .

كبير الحراس يحوم بناظريه بين عيون الفتى ويد السيَّاف ، والإمبراطور جالس فى انتظار سماع الشكوى .

استدار إياسو فى سرعة البرق ونزلت نظراته كالصاعقة وراح يتفرس فى وجه الإمبراطور .

لم يتحرك الإمبراطور من هول المفاجأة ، ولكنه أدرك أن نظرات الفتى تتساقط عليه من كل جانب ، كأنها قطرات باردة على جسم محموم .

كبير الحراس داهمه الذهول ، لم ينطق بكلمة السيَّاف رفع يده بالسيف ، وراح يجول ببصره بين الإمبراطور والفتى .

الاثنان وجهاً لوجه كأنهما مرسومان فى لوحة .

السيَّاف رافع يده ولكنه راح يسأل نفسه :

لأى سبب يضرب عنق الفتى ، لم يرتكب ذنباً . الإمبراطور إنسان ينحدر من سلالة البشر لافرق بينه وبين الآخرين .

التفت الإمبراطور حواليه . ماذا يفعل مع الفتى اهتزت الصورة الخرافية . انكشفت الأسطورة . أنهار التقليد المقدس .

العبودية فكرة تنبت فى أرض الجهل ، تنمو بالممارسة ويغذيها الخوف .

الفتى نسى شكواه ، وجد شهيته فى رؤية الإمبراطور . تفَرَّس فيه بإمعان . حقق حلم الشعب ، قام الإمبراطور فى تواضع ومد يده ، اقترب الفتى منه وهو لايصدق نفسه ، أن يد الإمبراطور تمتد إليه لتصافحه ...

عروس من الفضاء

بين الجبل والبحر توجد غابة ، وعلى حافة هذه الغابة تقع قرية صغيرة . وفى هذه القرية ولد رامبوس من أسرة كادحة .

ذات يوم خرج وجلس تحت جذع شجرة كان جده قد غرسها منذ سنين لتحمل اسم العائلة ... راح يسرح فى الفضاء الفسيح وما فيه من أشياء لمن لايملك شيئًا على الأرض .

فسبحان من جعل هذا الكون يحوى هذه المجرات وهى تظل فى مواقعها ولاتخرج عن مداراتها ......

وهو لايعرف شيئا عن الأرض التى يعيش عليها ، إلا ما عرفه فى كتب المدرسة ، أن هذه الأرض مجرد كوكب تابع للشمس .

أطرق رامبوس برأسه وقال بصوت خفيض :

إن الكائنات لايطيق أى منها أن يعيش بمفرده ، فى الفضاء ترى نجمًا يرسل بريق الحب إلى نجمة ، وفى البيداء ترى غزالاً يتهادى مع غزالة . وفى الغابة ترى العندليب يغنى أمام حمامة . إن الوحدة موحشة ، ما أطولها وما أقساها . الإنسان فى حاجة إلى أنيس يزيح عنه هذا الهم ... كل المخلوقات أوجدها الله اثنين اثنين . وكل نوع يميل إلى شبيه .

وهو جالس تحت الشجرة أبصر بالقرب منها فلاحًا يعمل فى

الحقل ، وزوجته تعاونه فى انسجام ، الفلاح يدير الساقية وزوجته تبذر البذور . الرجل يعمل فى صمت ، ولكن الزوجة لاتكف عن الكلام ، لكن زوجها لايسمعها فأذناه مع أنين الساقية .

أنها تتحدث عن آخر أخبار القرية ، تريد أن تسلى زوجها ، ولكن زوجها يحاول أن ينشغل عنها . إنها امرأة صخابة بين نساء القرية ، لا أحد يتمنى أن يدخل معها فى نقاش حتى يتقى الشرر المتطاير من لسانها .

إنها مثل سئ يسئ إلى بنات جنسها ، ويجعل أى شاب يتردد فى الأقتران بأى فتاة ...

شرد رامبوس بذهنه وراح يتخيل فتاة أحلامه يتصور الشكل مع جمال المنظر ، روعة القوام ، استرسال الشعر ، ولكن الأهم رقة الطباع وقلة الكلام . كأن يمسك بيده فرشاة سحرية يرسم بها صورتها فى خياله ، استعمل منها ألوانا من الأحلام والأوهام . وهو أيضا يريدها فتاة عصرية ، ربما ينتقل بها للعيش فى المدينة ...

فلابد أن تعرف كيف تتعامل مع الآخرين أساليب الحياة العصرية فى الأزياء والزيارات والحفلات . والأهم من هذا إذا وصلت له دعوة لحضور لقاءات أو مؤتمرات ، فلا مفر أن تكون فتاته على دراية بقواعد البروتوكول ، فالسيدات لايكسبن من هذه المناسبات أكثر من تتبع بعضهن للبعض فى وقع الخطوات ومد الأيدى ورفع الحواجب ،

ولايهمهن من الرجال سوى انفراج الأسارير تعبيراً عن السرور ، ولم ظاهر الأيدى والكلام المعسول والممزوج بالإطراء والمحفوظ عن ظهر قلب .

وبعد وقت ليس بطويل ، أقبل أخوه الصغير مسرعًا ، ونادى عليه فلم يسمعه ، فاقترب منه وهز كتفه ، حتى أفاق وقال له بصوت حاد :

- قم أسرع ،إن أباك يحتاج إليك فى الحقل ، فهب رامبوس واقفًا وهو ينفض غبار أحلامه .

عاد إلى البيت وهو منهك القوى ، فالعمل فى الحقل شاق ، فهو يعمل مع أبيه . فالواقع أمامه أن الأرض مصدر الرزق ، والأسرة تعيش عليها والزواج أيضا منها والأمل فيها .

آوى إلى فراشه ، وما هى إلا لحظات حتى أغمض عينيه وراح فى سبات عميق .

دخلت أمه عليه تتعقبها ابنتها الصغيرة ، فتعجبت أمه وقالت :

- ألايكفيك يارامبوس مشقة العمل فى الحقل حتى تزيده بترتيب حجرتك .

والتفتت إلى ابنتها تعاتبها :

- أنت مقصرة فى حق أخيك الكبير .

فردت الفتاة فى حين :

– لا ياأمى : إنه يمرن نفسه على إعداد عش الزوجية حتى يريح عروسه القادمة .

فتضحك الأم وهى تسمع ما تتمناه :

– ربنا يعطيه حسب طلبه ، أتمنى أن أراه عريسًا ، وتكون عروسه حلوة مثلك .

خرجت الأم وابنتها ، وأغلقت باب الحجرة . كامبوس غارق فى النوم ، وكأن الليل قد بسط عليه جناحيه وراح يحلم فى المنام .

الحياة غير الحياة . الكائنات غير الكائنات . فضاء واسع فسيح بلا أرض أو سماء . الأنوار تنبعث من منافذ لاوجود لها .... كل الأشياء بالألوان ، مرسومة غير مفهومة . الناس يمشون بدون ضجيج ، يتحدثون ولكن بدون صوت ، كأنه كلام يبث عبر الأثير . يعرف بعض الناس من قريته لايقترب منهم ولايتحدث إليهم ، يقترب من آخرين غرباء ويتحدث إليهم فيجدهم يقابلونه بابتسامات ممزوجة بالرضاء ، كأنهم يعرفونه منذ زمن ، كل شئ مباح فى الأحلام . يتلاشى الزمان وينبسط المكان . تظهر النيات وتقفز المشاعر فوق الحدود والسدود .

أقبلت حورية الفضاء وهى تتهادى على بساط الخيال . ودنت من الفتى الحالم ، وكأنها أصغت إليه . وحملت أمنيته بين جناحيها وطارت بها فى الفضاء واتجهت إلى فردوس الأحلام ، حيث مصنع العرائس الحسان .

دخلت الحورية وألقت السلام على أخواتها الحور وقالت فى صوت عذب :

تهذه أمنية لشاب يريد عروسًا كاملة الأوصاف :

قالت الأخوات :

– حدثينا عن هذه الأوصاف المطلوبة .

وراحت الحورية تسرد هذه الأوصاف والملامح التى يتمنى رامبوس أن تتحلى بها عروسه .

كل شئ بمقياس معين .

وراحت الأخوات ينصتن إلى أختهن وهن يسمعن هذه الأوصاف التى تجعل من هذه المخلوق كائنًا عجيبًا فى عالم البشر .

عقدت الحورية جلسة لبحث هذا الأمر ، إنهن مقدمات على عمل يتطلب الدقة والبراعة ، قالت الأولى : يبدو أن الفتى فنان ، فهو يريد صفات متناسقة ، هل عندهم تماثيل .

قالت الثانية : وقد يكون عالمًا ، فهو يريدها عاقلة مستنيرة ، قادرة على التفكير الواعى .

قالت الثالثة : وقد يكون شاعرًا ، فهو يريدها رقيقة ، لبقة فى الحديث ، تحسن التصرف .

وهنا قالت الحورية لأخواتها :

والآن ، كل واحدة منكن تتولى جانبًا من هذه الصفات ، وأوزع

على كل واحدة منكن الصفات المطلوبة منها . أريد دقة فى الصفة ، أريد روعة فى الهيئة ، معروف أن البضاعة الخالية من العيوب لاترد . أخذت الحوريات الثلاث هذه الأمنيات وأمسكن مواداً سحرية متعددة الأشكال والأصناف والألوان ورحن يغزلن منها الصفات المطلوبة .

وأخذن الخيوط ورحن ينسجن هذه العروس .

قالت الحورية الأولى : بهذه الخيوط البيضاء أنسج جسدها البض تضئ فى الظلام .

قالت الحورية الثانية :

وبهذه الخيوط الذهبية الناعمة نصنع لها تاجًا من الخصل ترفرف على هامتها .

وقالت الحورية الثالثة الصغيرة :

أما أنا فبالخيوط الحمراء أصنع الحواس الخمس ، عيون واسعة ، لسان لبق ، أنف سامق ، أذنان صغيران ، أيدى ناعمة ، حتي يكتمل الجمال ، ولأنها أصغر أخواتها ، فهى كثيراً ما تسرع إلى الرياض لتلعب مع ندائدها .

وقد وجدت فى هذا العمل ما يشغل وقتها ، ولأنها تحب أن تلعب مع صديقاتها فإنها لم تتردد فى أن تشركهن فى نسج هذا اللسان ، وصديقاتها لايلبسن أن يضحكن فيما تقوم به فى هذا العضو العجيب . فهو أسهل الأعضاء نسجًا وصنعًا .

فترد عليهن وتقول :

سوف أثبت لأخواتى الأكبر منى سنًا أننى الصغيرة والأشطر منهن .

ولكنى صديقاتها كثيرًا ماكن يغافلنها فى دعابة ، ويشددن الخيوط من هنا وهناك حتى تتشابك ويتعقد أولها مع آخرها .

وبعد مرور وقت من الزمن ، قالت الحورية الكبيرة لأخواتها :

– ماذا فعلتن فى هذه الأمنية ..

ردت الحوريات بصوت واحد :

– لقد كنا على قدر المسئولية . كما تعلمنا عملنا . سمعنا فأطعنا .

قالت الحورية الكبيرة :

– لعل وعسى يكون العمل جميلاً وكاملاً .

ردت الأخوات فى ثقة :

لقد اكتمل الجسد وصار تمثالاً رائعًا . ولم ينقصه شئ إلا اللسان الجارى صنعه .

فقالت الحورية الكبيرة :

– نريد لسانا طليقًا عذبًا يليق بالجنس الناعم .

حملت الحورية هذه العروس الجميلة على طبق سحرى . وكان رامبوس يسير على شاطئ البحر وقد جلس على صخرة كبيرة وراح

يتأمل أمواج البحر وهى تروح وتجئ دون عائق .

وبينما هو شارد الذهن ، شقت الحورية عنان الفضاء واقتربت من الفتى وألقت بالعروس أمامه ، ثم عادت الحورية إلى من حيث أتت .

أخذ رامبوس يدلك عينيه ، لعله يحلم ، أهذه صورة فتاة فى حلم أم فتاة حقيقية .

اقترب منها وتفرس فيها وسأل وهو خائف :

- من أنت أيتها الفتاة ، ومن أين جئت ؟

ضحكت الفتاة بصوت جلجل عنان السماء وقالت :

أنا هبطت من الفضاء ، أنا فتاة الأحلام التى تمنيتها . قال رامبوس وهو يريد أن يبرر كلامه :

- صحيح أنا تمنيت وحلمت . ولكننى لم أتوقع أن يحدث هذا بهذه الصورة .

قالت له الفتاة في ابتسامة جذابة :

- أنت الذى حلمت ، والحلم تحقق .

لم يجد رامبوس مفراً من أن يمسك بيدها وسار بها إلى شيخ القرية وعرض عليه الأمر .... نظر شيخ القرية إلى الفتاة وهو مرتاب فى وضعها ونظر إلى الفتى وهو يعلم مدى صلاحه وطيبته فذهب شيخ القرية مع الاثنين وعرضا الأمر مع الأسرة ، الأسرة وجدت فى هذا أمراً

عجيبًا ، وظهر اعتقاد بينهم أن ابنهم ربما يكون « مخاوى » مخلوقات تعيش تحت الأرض .

ولكن شيخ القرية ، أقنع الأسرة بأن ابنهم شاب صالح ، وأن الأمر أعجوبة قدتحدث فى أى زمن ، ولابد أن يقترن الاثنان .

وماهى إلا أيام قليلة ، حتى هيأ شيخ القرية لهذا الأمر ، وأعدت الأسرة حفلاً للعرس .

إن هذا العرس هو عرس القرية كلها فقيرها وغنيها ، جلس العريس مع عروسه على منصة الزفاف ، المدعوون نسوا كل شئ إلا التأمل فى هذه الفتاة ، الفاتنة . أما الشباب فهم يرقصون بالعصى ويظهرون مواهبهم فى لعبة التحطيب ، وكل منهم يحلم بأن تكون له عروس فى مثل هذه الفتاة ، لا خاطبة ولامهر . أما صبايا القرية وإن كن رحن ينشدن ويغنين أغانى الأفراح بأصوات شجية ، إلا أن مشاعرهن ظهرت على أساريرهن ، فهن يخشين أن يحلم شباب القرية أحلامًا كهذه ويصبحن عوانس وبعد أن انتهى الحفل ، ذهب رامبوس وعروسه إلى داره ، والأصدقاء يودعونهما بنظرات بين إعجاب واستغراب ، وفى الصباح استيقظ العروسان ، فاستهل رامبوس عروسه بالكلام قائلاً :

- صباح الخير ياأجمل عروس فى الوجود .

وما كادينتهى من كلامه حتى فتحت فمها مثل فوهة مدفع وراح لسانها يطلق وابلاً من الكلمات والحروف تتطاير مثل الشظايا .

ولم تكف عن الكلام حتى أفرغت ما عندها من شريط لسانها .

وهنا أمسكت عن الكلام حتى تنتظر لترد على كلام آخر :

وبعد أيام غادر راميوس الدار ، وجلس تحت الشجرة وقد وضع رأسه بين يديه وهو ينظر إلى الأرض وكأنه يبحث عن مخرج لورطته .

وأقبلت الحورية لتعرف حال الفتى مع عروسه ،

فوجدته واجماً تعيساً ونادماً .

ماذا يفعل الإنسان مع أحلامه . كيف يواجه أقداره .

رجعت الحورية إلى الفضاء ، ودخلت على أخواتها وهى ثائرة وسألت كل واحدة عما فعلت :

أجابت الحوريات الثلاث .

نحن نسجن العروس بكل إتقان .

قالت الحورية : ومن التى نسجت اللسان .

فإن الفتى يعانى الأمرّين من هذا اللسان .

وبعد تردد ، قالت الحورية الثالثة .

لقد وجدت بعض الخيوط الزائدة والباقية ، ولأننا نتبع سياسة الاستغلال الأمثل لكل مالدينا من مواد وبدون فاقد .

فقالت لها الحورية : وماذا فعلت ياناصحة .

قالت الحورية الثالثة فى فخر :

لقد استعملت الخيوط الزائدة وأضفتها إلى اللسان فطال عن الحد المعقول .

فتح عينيه على بيت ميسور فى أحد الأحياء الراقية ، الأب يعمل فى جهة لها خطورتها فى الدولة .

يتولى منصباً كبيراً له مكانته وأهميته .

والأم تنحدر من أسرة عريقة ضارية فى العراقة . الأب إنسان صارم ، شديد الطباع ، معجب بعمله . معتز بمنصبه الذى وصل إليه بطموحه ، وهو يعطى عمله أكثر مما يعطى أسرته ، ولاسيما فى وقت الأزمات ، أما الأم فهى تتعامل مع أبنائها كأنها تعيش فى العصور الوسطى ، تتركهم إلى المربية لتدبير أمورهم ، وهى تكتفى برؤياهم والاستجابة لطلباتهم . نشأ هذا الطفل وبدأ يحبو حيث كانت دبابات هتلر تزحف نحو ڤيينا ، وأوربا تعيش فى قلق واضطراب ، والأب رغم بعد المسافة إلا أن انشغاله يزيد مع الأخبار التى تتوالى يوماً بعد يوم . والأم ترى فى النادى مجالاً لقضاء وقت الفراغ مع جارات الفيللا وصديقات الحى ، وهات أحاديث عن إيفا براون عشيقة هتلر وغيرها من بنات السينما والملاهى ، ومن هى أجمل ؟ ومن هى أشيك ؟ ومن هى قادرة على صد المغرمين ؟

كان الطفل أصغر أخوته ، يهرب من أبيه الذى يبدو كالجبل أمامه ، ويهرع إلى أمه ليلوذ بها وينال حنانها وعطفها .

التحق بالمدرسة القريبة من المنزل ، وكان التلاميذ يرونه وهو ينزل

من السيارة فعرفوا أن أباه يحمل رتبة عالية .

لم يندمج مع زملائه بسهولة . فهو ابن مدلل ، يريد أن يأخذ أى شئ ، ولايريد أن يعطى شيئًا ، ناظر المدرسة حريص على إرضائه ، فهو يعلم من هو ، كان حذرًا معه .

ذات مرة ضرب أحد زملائه ، فما كان من ناظر المدرسة إلا أن ينهر المضروب ويسكت دعواه ، ويقوم بعتاب هذا الولد الضارب ويرجوه ألا يكرر هذا . لابأس أن يكون فى وضع أفضل من غيره ، فالرتب ليست فى هذه الجهة فحسب ، فقد تمتد إلى المدرسة والشارع والنادى .

وقد سمع وهو صغير أن أمه تنحدر من أسرة أجنبية جاءت إلى مصر منذ زمن ، فهو مصرى المولد ، ولكنه أجنبى الطباع .

تعثّر فى دراسته ، وإن كان يتمتع بقدر من الذكاء ، إلا أن طاقته تتبدد مع استهتاره فى تقدير الأمور والاستهانة بالاستذكار .

حصل على الإعدادية بصعوبة والتحق بالمدرسة الثانوية الخاصة فى نفس الحى .

وبعد قيام الثورة بقليل أعفى والده من منصبه وأحيلَ إلى التقاعد .

ماذا يعمل والده وهو مازال فى عز قوته وهيبته . فأصبح والده مضطرًا لمتابعة حياته ودراسته . وكأن الوالد وجد فيه مجالاً جديداً لانشغاله . لم يستطيع الوالد أن يقوم بعمل آخر ، فإن منصبه السابق لايسمح له بذلك .

أحب هذا الفتى فتاة فى مدرسة ثانوية للبنات ، كانت تقيم مع أسرتها فى منزل قريب منهم .

يراها فى الذهاب والعودة ، فالطريقان متقابلان ، اللقاء محتوم ، والوقت منتظم ، والغياب نادر كأنه محدد سلفًا ، العيون تتبادل النظرات . وسهام العواطف تتطاير دون آثار ، وأصبح طيفها يعبث بخياله ويبعثر المعلومات حتى أنه أدرك لاجدوى من الاستذكار .

اقترت منها فلم يجد صداً ، تحدث إليها ولكنه لم يجد وداً . نزل الاثنان فى حفرة ولايدركان الخطر فيها ولايعرفان الخروج منها .

عرف منها وضعها فى أسرتها ، وعرفت منه وضعه فى أسرته .

كل منهما عرف أن أسرته لاتقبل زواجهما فى مثل هذه السن . وأدرك كل منهما خطورة عرض الموضوع على أى أسرة ، فالرفض متوقع وربما يؤدى إلى ألوان من العقاب أقلها الزجر .

اتفقا على الهرب ، إن معهما مبلغ صغير من المال ، ولكنه يزيد مع رصيد الحب .

عرفت أسرة الفتاة بهروبها . قدمت شكوى ضد أسرته . والد الفتاة ركبته الحمية ، فهو ينحدر من أصول صعيدية ، شرف البنت أو حمام الدم .

وجد ضابط القسم أنه أمام موقف عصيب يحتاج معه إلى اتخاذ خطوة سريعة لإنهاء الأزمة .

عرف مكان الفتى والفتاة ، أعادهما ، ارجعت الفتاة إلى أسرتها ، أما الفتى فقد نال من العقاب ما يكفى لإرضاء والد الفتاة .

أصبحت الثانوية العامة صخرة أمامه ، الجهد مطلوب ولكنه فشل فى إزاحتها من طريقه . نام تحت ظلالها . تعدد رسوبه . حقن التقوية لاتفيد طالما لاتوجد معها مذاكرة .

العقل لايقبل طرفين مختلفين . إما صورة الفتاة ، وإما شبح الثانوية العامة .

لابد من الخروج من هذا المأزق . الذهاب إلى الرفاق أسهل الطرق فى الحياة .

ضياع الوقت فى النادى . التسكع على الكورنيش . الأم لاتستطيع إن تقسو عليه . ضعف الأمومة طبيعى . الأب حائر وقد انكسرت شوكته ، ولكنه يرثى لابنه الضائع . الأخ الأكبر يعمل ضابطًا ، تعود على الانضباط ، لايعجبه حال أخيه ، يرفض أن يتعامل معه ، وفى الوقت نفسه يخشى إغضاب والديه .

توفى والده وكأن القدر أراد أن يبعده عن هذا الموقف ، تولى الأخ الأكبر مسئولية الأسرة ، بدأ الأخ الأكبر يقسو عليه . يوجه إليه اللوم ثم الإهانات ، رغبة فى تقويمه .

الأم وقد كبرت فى السن ، أصبحت بين نارين ، الابن الأكبر ومسئوليته عن الأسرة ، والابن الأصغر الذى لايقدر هذه المسئولية .

وجدت نفسها تقوم بدور الوسيط بين طرفين ، ولكنه وسيط غير مؤثر ، فالعقل مع الابن الأكبر ، والقلب مع الابن الأصغر .

ذات يوم انتهز فرصة غياب أخيه الأكبر عن البيت ، وأمه فى زيارة إحدى القريبات ، فقام ببيع حجرة جلوس غالية الثمن ، وأخذ المبلغ ووضعه فى جيبه . وتسلل إلى حجرة أخيه وأخذ بطاقته ، وكانا متشابهين .

ولما عادت أمه من الزيارة ، وجدته يعبث بحجرة أخيه ، فحذرته ولم تعلم أنه أخذ بطاقة أخيه ، ولكنه أفهمها أنه سوف يبحث عن عمل ، فدعت له بالتوفيق .

سافر إلى الإسكندرية ، استقل سيارة ، عرف الركاب والسائق أنه ضابط ، نال من التحية والاحترام ما يستحقه . أنقذ السائق من غرامة مخالفة بأن أظهر بطاقته ، وتحدث بلباقة عن منصب والده . نزل إلى البلاج ، وكان يسير فاصطدم مع أحد المواطنين ، فتشاجر معه ، فاعتدى بالضرب على ذلك المواطن .

ذهب الاثنان إلى قسم الشرطة ، وهناك أخرج بطاقته ، فما كان من الضابط إلا أن طلب من الاثنين الصلح ولاداعى لتحرير محضر .

ولما نفذت نقوده ، عاد إلى البيت ، ووجد نفسه وجهًا لوجه أمام أخيه الأكبر . أراد أخوه أن ينهال عليه ضربًا حتى يؤدبه . ولكن الأم وقفت حائلاً بين الأخوين منعًا لحدوث كارثة . وفضت الاشتباك بينهما خوفًا عليهما .

رأت الأم أن الابن الأكبر لابد أن يتزوج ، ويستقر مع أسرته وينشغل عن أخيه ويتركه لها وللزمن ، فربما تجد سلواها فى الأسرة الجديدة بعد أن أدركت أنها لم تكن ناجحة فى أسرتها الحالية .

كان الترام وسيلة مغرية لضياع الوقت ، فهو يستقله من أول الخط إلى آخره بدون هدف ، يرى أصنافًا من البشر . موظفين وموظفات متجهين إلى العمل ، طلبة وطالبات ذاهبين إلى المدارس والجامعات . حرفيين يسعون وراء أرزاقهم . ومن الطرائف أنه أخرج رغيف فينو وقضم لقمة منه ، فرأته فلاحة من الريف ومعها سلة كبيرة بها جبن وزبدة ، فلطمت على خدها وقالت :

– ياندامة الشوم . البيه يأكل حاف .

وقدمت له قطعة جبن وقطعة زبدة ووضعها فى الرغيف وراح يأكل فى نهم .

فنظر إليها وهو يرى هذا الجمال الريفى الهادئ وقال وهو ينهش السندوتش :

– الجبنة تفتح النفس والزبدة تدهن الشنب ، فما كان من الفلاحة إلا أن أخفت وجهها خلف طرحتها . وماهى إلا لحظات حتى وجد شاباً يعاكس فتاتين من الجامعة . المحصل يتحدث مع السائق ويطلب من الركاب الاستعداد للمحطة القادمة . لم يعجبه سلوك هذا الشاب ، أخذته الحمية ، اقترب منه ولطمه على عينه ، فأطاح بنظارته التى تطاير

زجاجها ، فأكبر الركاب شهامته ، وقالوا الفتوة ظهر فى الترام . ولكن الفلاحة خرج كلامها من خلف طرحتها بأن هذه الشهامة من مفعول الزبدة . طلب من السائق الوقوف أمام قسم الشرطة . ونزل الأربعة ، ودخلوا على ضابط القسم .

وشهدت الفتاتان ضد الشاب الذى كان يعمل موظفا فى البلدية . وهنا أخرج الفتى بطاقته وقال فى ثقة طبيعية :

– النقيب فلان الفلانى .

فما كان من ضابط القسم إلا أن حياه ودعاه إلى الجلوس ، وطلب له فنجان قهوة . وقدنال الموظف من الإهانات والتأنيب ما يستحقه وقد أنقذته أن الفتاتين طلبتا عدم تحرير محضر والاكتفاء بالعقاب المعنوى وإخلاء سبيل المتهم .

وبعد الخروج من القسم سار مع الفتاتين مسافة ، فهو يريد أن يتسلى معهما ، فهو لايريد أن يضيع وقته بدون هدف يشغله .

وكل فتاة منهما قد تجد فيه بعد التخرج العريس المناسب . فهو يبدو عليه أنه من أسرة عريقة مظهره يدل على هذا . ولما لا . وكل فتاة تريدأن تضمن مستقبل حياتها قبل الحصول على الشهادة وهو يلقى بحباله ، ولمالا ، لعل إعجاب إحداهما به يصلح أن يكون مهراً فى مشروع زواج ربما يكون الإعجاب أغلى من الذهب .

أصبحت أمه غير قادرة على متابعة أخباره . فقد اعتلّت صحتها . ولم يعد باستطاعتها أن تحد من جنوحه . وحين يعود متأخراً إلى البيت فكل ما تستطيع أن تقوله حين تسمع صرير الباب .

- لماذا تأخرت ياابنى ؟

فيرد فى اقتضاب بكلام غير مقنع .

- كنت فى مشوار .

ولكن قلب الأم الذى لاينضب أبداً من الحنان ، يرق له :

- هل تريد أن تتناول العشاء .

فيرد وقد قرصه الجوع ، وهو يتعلل بأى شئ :

- ربما تكون الدادة نائمة .

إلا أن الدادة ترد من وراء حاجز الصالون وكأنها كانت فى انتظاره :

- الطعام جاهز ، لاداعى للتمنع أو الكسوف . أمك لايأتيها النوم إلا إذا حضرت واطمأنت على عشائك .

وحين تضع الدادة الطعام أمامه ، يأكل بنهم ، والأم على قدها تشعر بالراحة وهو يتناول عشاءه ، بقدر ما تشعر بالأسى لو أن ابنها ظل كالطفل بجوارها حتى تطعمه من يديها .

رحلت الأم بعد فترة قصيرة من المرض ، ورحلت بعدها المربية وكأنها لاتريد أن تفارقها أو تتركها وحدها . بعد ذلك نفدت النقود من يديه . لابد من أسلوب مبتكر . يريد نقوداً بأى طريقه ، تعرف على امراة غنية كبيرة السن . كانت تسمع عن أسرته ولم تتعرف عليها . أوهمها بالحب . هى أمه بعد أن فقد أمه . هى أخته فليس له أخت يشكو لها . وضع لها أسطوانة يشدها . يريد أن يخرجها من عزلتها ووحدتها . وثق العقد وطمأنها بأن تظل العصمة فى يدها .

لابد أن تخرج وترى الحياة . الفسحة فى مدينة الإسكندرية . النزول فى أفخم الفنادق . شالية على شاطئ البحر ارتداء أحدث الموديلات ، لاداعى للجحود ، الرجوع بالزمن إلى الوراء .

لاداعى للخجل ، فالمال يذيب فوارق السن ، الرصيد مناصفة ، المال عندها ، والشباب عنده ، أنساها عمرها ، سيطر على فكرها ومشاعرها . وبعدما بدد ثروتها أفاقت على هذه الحقيقة .

شاب نصاب استغل ضعفها وأخذ مالها وباع لها الوهم بأعلى سعر .

ذهبت إلى المحكمة ، وطلبت الطلاق ، ولكنه طلب تعويضًا ، الحق معه ، فالأيام التى خسرها من عمره أضافها إلى رصيد عمرها .

جلس فى حجرته ، وراح يتصفح دليل التليفونات ، يقرأ الأسماء بإمعان . يجد اسم فلانة حرم المرحوم ورثة ... يختار أحد الأسماء

يتصل عن طريق هذا الرقم بالأرملة الثرية الوصية على أولادها ، يعرض خدماته فى أدب جم وصوت مريح . دروس خصوصيه ، قضاء مصالح ، فض منازعات بعد أن يتعرف عليها ، يقوم بقضاء عمل معين بكل حرص . يغيب فترة قصيرة فتسأل عنه . يعود وقد أظهر بعض معاناته مع الأقارب فى الميراث . ترضيه بكلمة حنان . تشعره بأن الدنيا بخير يبدأ يزين لها الحياة . يعرض عليها الزواج ... تتمنع خوفًا ، يقنعها بسرية الموضوع .

يتزوج الاثنان ، ولكن العصمة تكون فى يده . وبعد ذلك يصبح الآمر الناهى فى البيت ، يتصرف فى مالها كيف يشاء . وبعد فترة تكتشف أنها وقعت تحت يد نصاب محترف . فتجد نفسها فى مأزق ، ولابد من أن تتخلص منه ، فأقارب الأولاد لو علموا بزواجها وافتضاح أمرها أمام الأولاد لطلبوا ببطلان الوصية عليهم ، كما أن هذا الموقف يهز مركزها فى الوسط الاجتماعى ، لابد من الطلاق بأى ثمن .

يبدأ هو فى المساومة ، لاداعى لرفع دعوى أمام المحكمة حتى لاينكشف أمرها . تدفع له بضعة آلاف ، النقود ولا الفضيحة . يأخذ المبلغ دون ضجة ويعطيها ورقة الطلاق حسب رغبتها أو هربًا من ورطتها .

كل تجربة ناجحة أو فاشلة يخوضها تضيف إلى رصيده من المعاناة ، تدفعه إلى معاناة أخرى ، أصبح فى العقد الرابع من العمر ،

ولكن مغامراته جعلته أكبر من ذلك . فالشيب بدأ يدب فى جوانب رأسه ، والشحوب بدأ يتسلل إلى وجهه . فالحياة لاتعطى الإنسان أكثر مما يستطيع أن يحافظ عليها .

إن الحياة فى نظره تبدأ من لاشئ ، وتسير مع الظروف بدون منطق ، وتنتهي إلى لاشئ أيضًا .

ولكنه اكتشف أخيراً أن قطار الأيام قد يمر بسلام على جميع محطات الأحداث ، ولكنه فى النهاية لابدأن يتوقف عند المحطة الأخيرة وعليها لافتة تتصدر الرصيف مكتوب عليها « أهلا بك فى سجن ....»

ليس بالذكاء وحده

(١)

أبو سليمان تاجر طيب ، معروف بين التجار بأنه منافس شريف في السوق ، لايضارب بالأسعار ، ولايحتكر السلع . لايفعل أى شئ فى سبيل ضرب تاجر آخر بخسارة مهما بلغ العداء بينهما .

السوق أمامه مثل نهر النيل يتسع بالرواج ويضيق بالكساد . ومبدأة أن التاجر الشريف يفيد ويستفيد ، يثق فيه الطيبون من التجار ، ولكن يخشاه المغامرون والساعون وراء الكسب السريع .

انتشر خبر فى أسوان فى فترة الخمسينيات عن حاجة تجار القاهرة إلى كميات من البقول والعطارة ، المدينة كبيرة وواسعة ويحتاج سكانها إلى أكبر قدر من هذه الأصناف .

دعا زملاءه التجار إلى جلسة خارج مدينة أسوان فى جزيرة فيله بالقرب من الآثار ، الرياح تحمل نسمات خفيفة ، الكلام لايخلو من المزاح الصعيدى ، النيل شاهد على الاتفاق .

ودار حديث حول إضراب سكان القاهرة عن اللحوم ، وأصبح الفول والطعمية ملكا وملكة تربعا على عرش المعدة فى القاهرة عرض عليهم الموضوع ، من يقوم بتوفير هذه السلع وتوريدها . تردد التجار . تساءلوا فى أنفسهم . هذه مخاطرة لم يعتادوها من قبل .

وبعد مداولات بينهم اتفق الجميع على أن يقوم أبوسليمان بهذه الصفقة دون منافس منهم ، لأن لديه من المخزون ما يجعله قادراً عليها .

ولأن التجار يرون شيئاً آخر ، فقد وجدوا فى هذه الصفقة فرصة يحققون بها نواياهم ، وهى ترويج مالديهم من سلع فى نطاق الصعيد ، أو ربما تحدث له خسارة من هذه الصفقة في القاهرة فيعود منكسراً وينحسر نشاطه .

عاد أبو سليمان إلى داره ، وأشار على عمّاله بإعداد سيارات النقل لتحميل السلع من الفول والعدس والسمسم والذرة والتوابل وغيرها .

قام العمال بتحميل هذه الأصناف على السيارات وهم يغنون كأنهم فى عرس .

قامت السيارات فى المساء واتجهت نحو الشمال . ووصلت فى اليوم التالى إلى السوق .

تقابل أبو سليمان مع التجار . تحدث معهم وتحدثوا معه . اتفقوا على الأسعار وثمن البضاعة . الثمن سوف يدفع على إحدى المقاهى بالعتبة الخضراء وفرصة للقاء وتناول الشاى ....

جلس التجار على المقهى ، انتحوا ركناً هادئًا ، الترام يروح ويجئ ، والجرس يرن ، القاهرة ساهرة ، فالليل مثل النهار ، الأضواء تخطف الأبصار .

أخرج التجار نقودهم ، وراح أبو سليمان يعّدها ، الأوراق جديدة ، جادة كالسيف ، ناعمة كالأفعى ، المبلغ عشرون ألف جنيه ، ثروة . كنز .

وأثناء تناول المشروبات قال أحد التجار مازحًا :

– احذر من النشالين ياأبو سليمان .

فرد رجل دون اهتمام :

– ربنا يستر على عبيده .

وضع المبلغ فى حقيبة سوداء وأغلقها بالقفل ، فى أحد أركان المقهى كانت تجلس عصبّة من النشالين من عتاة الاحتيال . ظهروا فى ثياب فاخرة على أنهم لجنة من إحدى الشركات قدمت لتقوم بشراء أدوات . الصحف مفرودة يدارون بها عيونهم ، أكواب القهوة مرصوصه ، الحديث عن الإعلانات أقل الأسعار هوالضحية تحت العيون ، ولكل آذانهم على أخبار التاجر الصعيدى .

عرفوا أنه يسافر اليوم فى قطار منتصف الليل ، ومعه حقيبة النقود .

اختارت العصابة من بينهم واحداً معروفا بالدهاء ليقوم بهذه العملية الخطيرة .

فهو أبيض اللون مشوب بالحمرة ، طويل القامة يرتدى القبعة كالأجانب ، سافر إلى جهات عديدة فى طول البلاد وعرضها ، من الإسكندرية شمالاً إلى أسوان جنوبًا .

أقدامه تطوى الأرض ، ويحط رحاله عند الصيد ، يده لاتخرج فارغة ، ولكنهم حذروه من هذا الصعيدى الأسمر المحدود القامة كالمسلة . نصحوه بألا يتهور وقالوا فى أذنه :

النجاة بالنفس أفضل من مغامرة غير مضمونة .

(٢)

كانت المحطة مزدحمة الزحام شديد ، المودعون أكثر من المسافرين . وقف القطار السريع على رصيف الصعيد . تعالت الأصوات متداخلة ومتفرقة هنا وهناك .

مع السلامة . سلم على الأهل . خلّى بالك من نفسك . احذر من الـ......

راح التجار يودعون أبو سليمان متأثرين ، ومعه حارسه الشاب الصعيدى الذى يحمل بندقية ، صعد أبو سليمان إلى القطار وسار فى عربة الدرجة الأولى وجلس فى أحد الدواوين ، وصعد النشال ومعه حقيبة ذات اللون الأسود ، وجلس فى ديوان مجاور للتاجر . تحرك القطار فى شموخ لأنه سيقطع ألف كيلو متر ، والجرار ينفث دخانه بكثافة ، ضجيج أصوات المودعين ضاع وسط أزيز العجلات . بعد فترة راح النشال يتجول فى العربة ، شئ من القلق أوتضييع وقت ، وحيا أبو سليمان فى ديوانه فرد له التحية . حاول أن يغافل أبو سليمان ولكنه

لم يستطع . التاجر معتاد على السهر وحارسه عيناه على الحقيبة الموضوعة على الرف .

قال النشال له :

- إلى أين أنت مسافر ؟

فرد أبو سليمان :

إلى أسوان إن شاء الله .

قال النشال مستدركًا :

- نعم . أنا مسافر إلى هذه المدينة لدراسة الآثار هناك .

فقال أبو سليمان بحسن نية :

- يامرحبًا بالزائرين والدارسين .

فى الصباح الباكر وقف القطار عند محطة أسيوط ، فسأل النشال عن هذه المدينة ، فقال التاجر :

- هذه مدينة أسيوط عاصمة الصعيد .

قال النشال :

- آه . لاتوجد فرصة للنزول والتعرف عليها .

تحرك القطار من أسيوط وراح صوب الجنوب . العجلات تلتهم الفلنكات . المحطات تتوالى . ظلال الأشجار تداعب النوافذ .

اقترب القطار من أسوان . الركاب يستعدون للنزول ، أبو سليمان أمسك الحقيبة فى يده ، الحارس وراءه كالظل لايفارقه . الوقت يقترب من الغروب . وقف القطار وانفتحت الأبواب . المسافرون ينزلون ، أحضان وقبلات من المنتظرين ، النشال يسمع ، كلمات سريعة ، يفهم البعض منها والبعض يستعصي عليه ولم يحاول فهمها ... توجه أبوسليمان إلى داره ، ركب الحنطور استقل النشال حنطوراً آخر وراءه ، عرف مكان الدار . أعطى السائق أجرته . جلس على مقهى قريب . انتظر بعض الوقت .

فى الساعة التاسعة مساء ، توجه إلى بيت التاجر . طرق على الباب بهدوء . دقات متأنية . أسرعت الخادمة السمراء نحو الباب :

– من الطارق ؟

قال بصوت خفيض :

– واحد ضيف .

فتحت الخادمة الباب وقالت له :

من أنت ياحضرة ...

قال فى لهجة هادئة :

– من فضلك . أين صاحب الدار .

نادت الخادمة على أبو سليمان الذى أحس بوجود شخص على الباب ، فحضر لتوه ، وما كاد يرى النشال . حتى رحب به ، ودعاه إلى

الدخــول فى منضرة الضيافة . وقبل أن يفتح النشــال فــاه ، بــادره أبــو سليمان بقوله :

- يا أجمل الصدف . من القطار إلى الدار .

قال النشال فى تودد :

- القلوب عند بعضها .

صفق أبو سليمان على يديه ، وطلب إعداد عشاء سريع للضيف القادم من غير ميعاد ، وعاد يستأنف الحديث معه . وصمت من الاثنين العيون لاتتقابل . بادره أبو سليمان بالقول :

- أى خدمة يمكن أن أوديها لك .

قال النشال فى حياء !

- الحقيقة أنا غريب هنا . ولم أنزل فى هذه المدينة من قبل ، وخشيت على أوراقى ونقودى ، لاأعرف أين أقيم ، ربما تطول إقامتى .

قال أبو سليمان مرحبًا :

- الدار دارك . والدنيا أمان .

أعد أبو سليمان المنضرة للنوم . تسامر مع النشال مع مشروب الشاى المتين .

وبعد فترة ترك أبوسليمان الحجرة ليدع ضيفه يستريح من عناء السفر الطويل ، وقال له :

- استغرق فى النوم على راحتك .... لن يوقظك أحد ، لاتتعجل الاستيقاظ .

النشال مازال فى أرق ، العيون تحلق فى سقف المنضرة الشاهق . يحصى عروق الخشب . ضوء المصباح خافت . أذناه على الوسادة ولكنه يسترق السمع لأى حركة داخل الدار .

بعد منتصف الليل خيم السكون على أرجاء البيت . لاصوت يعلو على عجيج الأفكار التى تدور فى ذهنه . تسلل النشال إلى صحن البيت ، يزحف كالأفعى . بيده اليمنى بطارية صغيرة حتى لايتعثر فى شئ ، وفى يده اليسرى الحقيبة السوداء . وجد حقيبة التاجر فى إحدى الحجرات ، أخذ هذه الحقيبة وترك مكانها حقيبته المحشوة بأوراق المجلات . وبعد وقت قصير فتح الباب بعد أن تيقن أن جميع أهل الدار مستغرقون فى النوم . أسرع إلى محطة السكة الحديد واستطاع أن يلحق بأول قطار فى الفجر متجهاً إلى القاهرة .

وفى الصباح نهض أبو سليمان ، وجلس على الكنبة فى الفسحة ، وراح يحتسى كوباً من الشاى إلى أن يقوم الضيف من نومه على مهل .

ولما طال الانتظار ، وارتفع قرص الشمس فى السماء ، ظن أبو سليمان أن ضيفه مازال غارقًا فى نومه . خشى عليه من ضياع الوقت ، ربما يكون على موعد ما . أطلق أصواتًا فى أرجاء البيت لعله يشعر

ويصحو . طرق على باب المنضرة ، لم يرد عليه أحد . انشغل ، فتح باب المنظرة برفق . وسار فى خطوات نحو السرير فلم يجد الضيف على فراشه .

- اللهم اجعله خيراً . أين ذهب الرجل .

بدأ يبحث فى جميع الحجرات . وجد الحقيبة السوداء فى مكانها ، لكن الشك ساوره ، وأهل البيت مندهشون ، أمسك بالحقيبة ، فتحها ، وجدها محشوة بأوراق مجلات ، ولاتوجد نقود . أدرك أنه تعرض لحيلة ماكرة .

(٣)

لم يضيع أبو سليمان وقتًا . أخرج حلة من صوان الملابس . وأخذ نظارة شمسية سوداء ، استقل سيارة ، وراحت السيارة تنهب الطريق الطويل نهبًا الوقت من ذهب . التعب يهون . أوضح أبو سليمان للسائق :

- تحملنى ياأسطى جابر . أريد أن أحضر جنازة دفن أحد الأرقاب بالقاهرة ...

يرد السائق بصوت أسيف :

- البقاء لله ياأبو سليمان .

أبو سليمان غارق فى التفكير . ياترى أين وصل . المحتال . كيف لم يكتشفه . لماذا أعطاه الأمان . أسئلة ولكن بدون إجابات .

وصلت السيارة عند الغروب إلى ميدان العتبة . توجه فوراً إلى المقهى وجلس فى أحد الأركان بالقرب من مجلس النشالين حيث كان النشال جالساً مع زملائه .

أبو سليمان يوارى وجهه بين دفتى مجلة وقد ارتدى نظارته السوداء ، وراح يسترق السمع وهم يتحدثون .

- وقع العصفور فى القفص .

- كيف نتصرف فى هذه الصفقة .

- الأصناف جاهزة والمهم الأسعار .

- لا . لا. كل واحد له نصيبه .

- يبقى نصيبك فى إيدك ويأخذه غيرك .

يضحكون ، وهم

قال النشال لزملائه :

- نلتقى فى شارع الهرم ، فى نفس المكان .

قالوا له :

- نحن فى انتظارك هناك .

ترك النشال الحقيبة مع زملائه ، ثم قام وخرج . سار أبو سليمان وراءه بحذر ، دخل النشـال فى إحـدى العمـائر الفـخـمـة ، وهنا دلف أبو سليمـان وراءه ، وهو يتظاهر بزيارة أحد أقربائه ... دخل النشـال إحدى الشقق ، اقترب أبو سليمان من باب الشقة ، وبعد لحظات سمعه من خارج الباب يتحدث إلى زوجته ويقول :

– الخروف وقع . وذبحناه .

– والله خايفة ، إن السكون تكون جرحت إيدك .

– إيدى سليمة .

– فين الحقيبة .

قال النشال فى ثقة :

– زملائى حلفوا يميناً ، أنهم لن توزع النقود إلا إذا حضر ابنى الصغير ويأخذ نصيباً مثل أى واحد فينا لأنهم استبشروا به ، ولأن هذه الخبطة كانت باسمه « خبطة شريف » .

قالت الزوجة فى لهفة :

– انتظر حتى يقوم من النوم ويرتدى ملابسه الجديدة .

قال النشال فى عجلة :

أريد أن الحق بزملائى فى الهرم . إنهم فى انتظارى ، جهزى الولد ، وأرسل لك واحداً لكى يأخذه والأمارة ثلاث طرقات على الباب وقبلة على الخد . والسهرة تكون هناك .

سمع أبو سليمان « كلمة السر » وأسرع إلى الدور العلوى حتى لايراه أحد ، وأخذ يراقب النشال الذى خرج من شقته ثم اختفى .

هبط أبو سليمان إلى الشارع وسار بعض الوقت ، التوقيت يجب أن يكون محسوبًا . والتصرف يجب أن يكون مضبوطًا .

مر وقت كافٍ ورجع إلى العمارة وصعد إلى الشقة وطرق على الباب ثلاث طرقات هادئة ، فتحت الزوجة الباب وقالت فى رقة :

- نعم ياأخويا .

فقال أبو سليمان فى لهفة :

- قبلة على الخد .

وراح يميل إليها ولكنها تراجعت إلى الوراء وقالت فى دلال :

- الطرقات لك ، ولكن القبلة للمعلم وحده . وهنا أفاق أبو سليمان من وهمه ، وسلمته الطفل مع ابتسامة ممزوجة بالإغراء :

- ابق خلينا نشوفك يا اسمك إيه ....

أبو سليمان يجذب الطفل ويحمله ويهرول على السلالم . الطفل يبلغ الخامسة من عمره . سار معه ، اشترى له حلوى .

ركب سيارة بسرعة وطلب من السائق أن يتجه إلى أسيوط . الطفل يأكل فى الحلوى .

وأبو سليمـان يسـأله والطفل يرد بكلمـات متـقطعـة . نام الطفل واستراح منه ....

وصل بالطفل إلى أسيوط فى الصبـاح . تناولا الأفطار . اشـترى فاكهة ولعب أطفال واستقل سيارة أخرى حتى لايستدل عليه أحد .

ولكن الطفل بدأ يسأل .

- أين أبى ياعمى .

فيرد أبو سليمان عليه ويربت على كتفه .

- إن أباك سـوف يـأتى . العـود مـحـتـوم ، وراح يحكى للطفل حكايات ، الأرنب والأسد ، الذئب والحمل ، الكتكوت والغراب .

وفى نهاية كل حكاية ، يكون الله مع الضعيف . رجع الشخص إلى شـارع الهـرم ، أخـبـر المعـلم أن الطـفل أخـذه شـخص آخـر بنفس الأمـارة ... ، انتابه القلق والشك . الطفل أو الحقيبة . فهم اللعبة . لابد من التصرف .

أخذ الحقيبة ، وأسرع إلى المحطة واستقل أول قطار إلى أسوان .

أنه يسمع صرخات الأم مع هـزات العربات ، الطفل عندها ولاكنوز قارون ...

تذكـر كيف رضـخت زوجتـه للعيش مـعه بعد ولادة شريف ، إنـها تعيش مـعه ولكنهـا ترتبط بالطفل ، تحاول أن تتمرد ، ولكن كلمـات أمها مازالت ترن فى أذنيها :

– الرجل يفتح البيت ، لايهم المهنة ، والزواج قسمة . الأول أفضل ولو كان حنظل . ولدك شمعة البيت .

وصل إلى بيت التاجر ليلاً ، ومال برأسه إلى قائمة الباب من شدة التعب ، وأخذ يطرق بشدة فتح أبو سليمان الباب ، فبادره وهو يلهث :

– الحقيبة . الحقيبة بأمانتها .

فدعاه إلى الدخول والجلوس فى نفس المنضرة ، وطلب له كوبًا من عصير التمر هندى المنعش حتى تهدأ أعصابه ، وقال له فى رفق :

– ابنك موجود بين أبنائى .

نظر الاثنان إلى بعضهما نظرات ذات مغذى . وقطع أبو سليمان هذا السكون بقوله :

– لقد تقابلنا صدفة . ونحن الآن على موعد.

قال النشال فى عجل :

– ليس بالذكاء وحده يصل الإنسان إلى كل ما يريد ، وليس بالقدرة وحدها يحتفظ الإنسان بما وصل إليه .

فرد أبو سليمان :

– ولا بالطيبة وحدها يخسر الإنسان كل شئ .

لم يضيع النشال الوقت ، قدم الحقيبة إلى التاجر ، فقام بإحصاء ما فيها من رزم ، وسأل النشال :

- هل تريد أن تنام حتى الصباح .

- لا . شكراً على الليلة الماضية .

وأحضر الحارس الطفل شريف ، ودفعه إلى والده الذى ارتمى فى أحضانه وهو يقول فى براءة :

- لقد تأخرت ياأبى علينا .

- معلش يا ابنى . المسافة كانت طويلة .

طلب أبو سليمان من حارسه أن يجهز كرتونة من خيرات الصعيد ، بلح ، تمر هندى ، كركديه ، حناء للمدام ويودعهما على محطة أسوان .

وبينما الأب والابن جالسان فى ديوان القطار ، الأب ينفث سيجارته فى عصبية ، والابن لايدرك سر هذه الرحلة الطويلة ، وإن كان السفر شاقًا إلا أنه قطعه نائمًا .

والابن أراد أن يقطع الصمت فقال فى براءة :

- أبى ، لماذا رفع عمى المسدس فى وجهك . لقد كان رجلاً لطيفًا معى . اشترى لى ....

لم يرد الأب على الابن ، فقد كان صوت القطار ينذر بالقيام .

(١)

عقد زعماء الشياطين مؤتمراً فى كوكب .....

ووضع هذا المؤتمر شعاراً تحت عنوان :

« استراتيجية جديدة لمواجهة عالم متغير »

نقلت القنوات الكونية وقائع هذا المؤتمر العجيب وكان العقل المدبر للشياطين قد شاهد ما يحدث فى عالم البشر من تغيرات وتطورات فى النظم السياسية عندهم ، وأنهم يتهافتون على إحداث هذه التغيرات وكأنهم فى سباق محموم .

دعا هذا المفكر زعماء الشياطين لأخذ المبادرة بالاتجاه إلى الإصلاح السياسى فى مجتمعهم وإقامة نظام ديمقراطى ، وأن يكون نظام الانتخابات بالاقتراع الحر المباشر ، وتكوين برلمان يمثل جميع فئات الشياطين . وتشكيل حكومة مسئولة عن جميع الأجهزة ، وتقدم برنامج عمل تقوم بتنفيذه .

وقرر المؤتمر إعطاء مهلة لتقوم قيادات الشياطين فى كل كوكب للدعاية والإعلان عن برامجها .

وكان القاسم المشترك الأعظم لهذه البرامج الفظيعة هى الاستمرار فى إشعال الفتن والحروب فى الأرض ، وتكريس الصداعات والمواجهات

وذلك لتحدى حركات السلام والحرية والحوار بين الدول ، وفتحوا باب الترشيح ، وتحدد موعد إجراء أول انتخابات حرة فى تاريخ الشياطين الأسود .

وقام زعماء الشياطين فى جميع الكواكب بترشيح أنفسهم لمنصب السلطان الأكبر لإمبراطورية الشياطين المترامية الأطراف فى الوجود .

وكان لابد أن يكون هناك مندوب من كل كوكب للإشراف على سير هذه الانتخابات وأن تعبر بحق عن جموع الشياطين في كل مكان .

وجرت الانتخابات فى جو نارى ، وبعد إغلاق الصناديق وفرز الأصوات ، حصل زعيم الشياطين فى كوكب الأرض على أعلى الأصوات وفاز بمنصب سلطان الشياطين فى جميع الكواكب ، لما له من تاريخ طويل منذ بداية البشرية فى إغراء الإنسان وخراب الضمائر وفساد الزمم .

ولكى تكتمل الصورة ، أُجريت انتخابات برلمانية ، لانتخاب ممثلين عن جماهير الشياطين فى جميع الكواكب ، ورشح أعضاء أنفسهم من أحزاب العولمة ، والهيمنة ، والبرطعة ، وآخرون من أخراب تزاول نشاطها فى الكواكب الصغيرة .

وجاءت نتيجة الانتخابات المعبرة عن الواقع ، فقد حصل حزب العولمة فى الأرض على أغلبية مقاعد البرلمان وباقى الأحزاب على مقاعد أقل : ولأن شياطين الأرض قد أسعدهم هذا الانتصار فقد أقاموا

الحفلات الحمراء وأذاعوها عبر القنوات الكونية لكى تشاهدها جميع الكائنات . واستبشرت جماهير الشياطين شراً ، بتكوين هذا البرلمان الذى سيكون منوطًا به وضع التشريعات لضبط حياة الشياطين وتجديد أعمالهم .

ولابد أن تقوم حكومة مسئولة أمام البرلمان ، وهى حكومة طوارئ تكون قادرة على مواجهة التحديات في عالم البشر ، وأن تقوم بتنفيذ البرنامج وفق فترات زمنية فى جميع أنحاء العالم .

وكانت الحكومة تتكون من العديد من الوزراء المخضرمين مع تطعيمها بالعناصر الشابة والجنس اللطيف ، وهى على النحو التالى :

- وزير النزاع الدولى . وزير فساد الذمم .
- وزير التخريف والتدمير . وزير الكذب والنفاق .
- وزير الذل والفقر . وزير الفوضى الدولية .
- وزيرة النكد . وزيرة اليأس .

وقد صّدق البرلمان على هذه الحكومة ، على أن يتقدم رئيس الحكومة ببيان عمل ويعرض على البرلمان فى الجلسة القادمة .

(٢)

عقد البرلمان جلسته الأولى ، ويبدأ رئيس البرلمان يتحدث عن هذا المجلس الخطير ودوره الهام فى التشريع والمراقبة والمحاسبة .

ووفق نظام البروتوكول دعا رئيس البرلمان رئيس الحكومة إلى إلقاء بيانه وبرنامج حكومته المزمع تطبيقه .

ووقف رئيس الحكومة وهنا وقف الوزراء يحيونه بالهتاف فاضطر أعضاء البرلمان إلى التصفيق مجاملة لهم ، وهم ينتظرون من بيان الحكومة على أحر من الجمر . وبدأ رئيس الحكومة فى إلقاء بيانه :

السيد الرئيس ، السادة الأعضاء ، لقد نجح جدنا الأكبر فى إسقاط آدم وحواء جدى البشر ، واستطاع بتفاحة واحدة أن يجعلهما يخسران الجنة كلها ويخرجان منها . ومنذ هذه الواقعة السوداء ، والمشئومة على الجنس البشرى ، فإن أجدادنا ظلوا يخوضون حربًا لا هوادة فيها مع هؤلاء البشر ، وعلينا نحن الآن أن نواصل المسيرة حتى يكتب لنا النصر فى النهاية ....

أننى لا أريد أن أذكركم بالإنجازات العظيمة التى تمت فى تاريخنا الأسود ، فقد قلبنا البشر بعضهم على بعض ، أقوياء يدوسون ضعفاء ، حكام يستبدون بشعوب ، قواد يغريهم طموحهم فيستولون على أراضى ويفتحون بلاداً ويسحقون شيوخًا وأطفالاً ويأسرون نساءً وشبابًا .

ولكن للأسف الشديد ، كان الله الذى نقشعر نحن من سماع اسمه القدوس ، يفتقد حال البشر بإرادته الصالحة ، فيجعل الأحداث نفسها تقضى على الجبابرة أنفسهم كما قضت على الضعفاء ، وهذا الأمر كثيراً مايعطل برنامجنا ويفشل خططنا التى كانت تقسم بالأحكام « ولاتخر منها المياه » .

وهنا تدخل رئيس البرلمان مصححاً :

– لاتذكر كلمة « المياه » فإنها ضد طبيعتنا . فالماء ضد النار ، ونحن مخلوقون من نار ، والماء قد يطفئها . « الحاضرون يصفقون ويضحكون » .

وواصل رئيس الحكومة بيانه :

واستمرت سياسة حكومتنا فى السيطرة على عقول الحكام واستدراج رغباتهم ، فقام بعضهم على بعض تحت أى ادعاء ، وقمنا بتنويم عقول الشعوب حتى تعيش فى غفلة ، فهم راضخون وقانعون بما يجرى حولهم ، وأحيانا يثور بعض الزعماء فيهم لمقاومة المظالم ولكن سرعان ما تأكل الثورات نفسها وتعود الشعوب إلى ما هى عليه . وخلال هذه الأحداث يسقط الضحايا بالملايين ولا أحد يندد ولايستنكر ، والسبب انتشار الخوف بينهم ، وانعدام وسائل الإعلام ، ولكن كتبوها فى التاريخ لتكون شاهدة على خيبتهم .

وتدخل رئيس البرلمان وسأل رئيس الحكومة عن برنامجها فى ضوء تطورات العصر .

فرد رئيس الحكومة :

– لا تتعجل ياسيدى ، إليكم برنامجنا المتطور . لقد وضعنا استراتيجية جديدة تقوم على المناورة والمراوغة والمداهنة .

ومن هذه الأساليب ، استثمار أفكار البشر فى أمور مادية تطغى على ميولهم الروحية ، كما أن مذاهبهم تصبح مصدر خلافات فيما بينهم ، فكل فريق يترك أهداف مذهبه ليشغل نفسه بمذاهب الآخرين . ويتعاملون مع نظرياتهم بصورة مقلوبة ، فبدلاً من تكريسها للأعمال الصالحة يشطح العلماء إلى تطبيقها في نواحي مدمرة . ولايتوقف برنامجنا عند هذا ، بل نؤجج بؤر الاعتقادات ، فنجعل كل أصحاب اعتقاد يتعصبون لاعتقادهم وينكرون اعتقادات الآخرين . وكل واحد ينظر إلى مرآة نفسه فلا يرى غيرها . ولانكتفى بهذا ، بل ننشر فى نفوسهم حسب الأنانية ، فكل يحب نفسه ويسعى إلى أن يستولى على كل شئ . ومانراه فى محاكم البشر يدل على أن الخلافات على الثروة والمناصب والشهرة تزيد يوماً بعد يوم ، وهل من مزيد ......

إننا نسعى فى كل هذا ، بحيث نرسخ فى نفوس البشر أن البقاء للأقوى وليس للأصلح ، ولذلك فهم يسعون إلى امتلاك القوة ، ونجعلهم يفقدون الثقة فيما بينهم فلا يشعرون بالأمان .

وهنا يشتد الصراع ، وتندلع الحروب بين الدول ، ويقع المعتدى ، والمعتدى عليه في مستنقع من الصعب الخروج منه ، وقد يتحول هذا المستنقع بالتكاثر إلى مستنقعات وائمة تنتشر فيها جميع الأوبئة . بل والأكثر من هذا نجعل العديد من البشر يتصرفون وينجرفون فى طرق لايستطيعون الرجوع عنها فهم يسيرون فيها إما تحت ضغوط قوية أو تحت وهم أنهم راضون عن أنفسهم ......

وإليكم هذه الأرقام التى تدل على إنجازاتنا العظيمة » مئات الملايين راحوا ضحايا الحروب والنزاعات ، وملايين أخرى راحوا ضحايا الأمراض والأوبئة ، والكوارث الطبيعية والمجاعات والتشرد .

إننا قادرون على تنفيذ هذا البرنامج وفق خطة صارمة ، وسوف نلاحق البشر أينما كانوا فى البر والبحر والفضاء سواء كانوا متيقظين أو غافلين . ولما انتهى رئيس الحكومة من بيانه قال رئيس البرلمان : لايسعنا إلا أن نشكر الحكومة على هذا البيان الشامل ، والرد على بيان الحكومة فى الجلسة القادمة « تصفيق » فى يوم دامس الظلام لم تشرق له شمس افتتح رئيس البرلمان هذه الجلسة العاصفة وقال :

– أيها السادة الأعضاء ، لقد سمعتم بيان الحكومة وقرأتم هذا البيان . والآن وقد جاءت إلينا طلبات الإحاطة والاستجواب ، نرجو أن يقوم السادة الوزراء المسئولون بالرد عليها .... وبدأ ينادى :

– السيد زارع الخلافات ... فليتفضل

– سيدى الرئيس . السادة الأعضاء .

لقد نجح الجنس البشرى فى إقامة منظمات دولية وإقليمية تهدف إلى العمل على حل المنازعات بالطرق السلمية . وهذا ما حدث فى أماكن عديدة ، فماذا فعلت حكومتنا .

طلب رئيس البرلمان من الحكومة الرد على طلب الإحاطة .

انبرى وزير النزاع الدولى وقال :

- فى برنامج الحكومة هذا العام خطة سحرية لتخريب هذه المنظمات . ومن أبسط الأمور فى هذه الخطة أن نجعل هذه المنظمات تتضخم وتتوسع وتترهل ، بحيث تصبح بطيئة الحركة ، الدول الكبرى تريد أن تهيمن لأنها تمول ، والدول الصغيرة تولول وهى التى تعانى من النزاعات ، وتصبح المنظمات كعربات الإسعاف تدق الأجراس ولكنها قد لاتصل فى الموعد المناسب . وتدب الخلافات ويتبادل الجميع الاتهامات ، ونحن بالتالى لانكف عن التشجيع ، فالمسئولون عن حل النزاعات أصبحواهم فى خلافات فيما بينهم « ضحك » .

ونادى رئيس البرلمان : السيد فيروس التخلف فليتفضل :

- سيدى الرئيس ... السادة الأعضاء .

لاحظنا فى السنوات الأخيرة أن البشر بدأت أحوالهم تتحسن . معونات دولية من هيئات تنهال على الدول الفقيرة من خلال برامج ومشروعات للتنمية الاجتماعية . فماذا فعلت حكومتنا .

قال رئيس البرلمان : نريد أن ترد الحكومة على هذا .

قام وزير فساد الذمم وقال ساخراً :

- هذا صحيح ، بل وحدث أكثر من هذا . تحسن فى الظاهر ، ولكن المواجهة فى منتهى السهولة إننا نعمل على إفساد ضمائر بعض المسئولين عن هذه البرامج بحيث لاتحقق الأهداف المطلوبة ، ويظل معظم الناس فى جميع الدول الفقيرة يعانون من المشكلات المزمنة .

وأنت تستغرب أن الناس مكدسون فى المواصلات العامة بينما العديد من السيارات الفارهة تمرق فى الشوارع وهى تخرج لسانها للسيارات العامة فترد عليها بأن تقذفها بدفعات من العوادم حقداً عليها « تصفيق حاد » .

ونادى رئيس البرلمان . جئنا للجنس اللطيف « ضحك » السيدة حرباء المشاكل . فلتتفضل :

– حدثت صحوة فى الدول وزاد وعى الفرد بحقوقه . وهناك منظمات تقدم خدمات للناس وهيئات تعمل على حل المشكلات ، بل وأجهزة عديدة تعمل فى مجالات الإعلام والثقافة والرياضة والترويح عن الأسرة ليلاً ونهاراً . فماذا فعلت حكومتنا ؟

وهنا هبت وزيرة النكد ، وشعرها منكوش وقالت :

– لاياحبيبتى ، هذه وحياتك مجرد مظاهر كذابة ، فقد قمنا بحملة مضادة تبطل مفعول هذه الأعمال . وهنا قاطعها رئيس المجلس وقال :

– عفواً . أنا مع السيدة الحرباء فيما ذكرته ، نريد أن نعرف ماذا فعلت وزارة النكد ؟

المجلس يريد أن يسمع إنجازاً ولاينتظر كلاماً .

فنفضت وزيرة النكد شعرها وأردفت حديثها :

– فى البداية : أرجو من الأخت العضو أن تنكش شعرها مثلى ولاتلمة مثل موضة بنات حواء « ضجيج وضحك »

وهنا تدخل رئيس المجلس وضرب بالمطرقة النارية على المنصة : سكوت من فضلكم . نحن لانريد أن تكون بناتنا أقل شياكة من بنات حواء لامانع الآن من فتح محلات كوافير عندنا « ضحك واعتراض » ورفعت وزيرة النكد صوتها وقالت :

لقد اخترقنا النشاط البشرى ، وقلبنا أهدافه . نعم زاد وعى الإنسان بحقوقه ولكننا جعلناه يهمل فى واجباته . والمنظمات التى تقدم خدمات وتعمل على حل المشكلات ، قبع على مكاتبها موظفون يدمنون منقوع البيروقراطية ، يتغنتون فى إصدار التعليمات والقرارات ويكثرون من التعقيدات ، وإذا سألتهم يصرخون لك بمجرد بيانات . أما الإعلام فقد تحول إلى بوق يسبح باسم الزعماء أو غرس التعصب الوطنى أو الهجوم على الآخرين ، ناهيك عن نشر أنصاف الحقائق وترك الأنصاف الأخرى للناس لتضيف ما تشاء ، هذا غير الأخبار المزعجة والصور المرعبة . وغير نشر ثقافة الفكر الواحد . وأحيانا تتحول الأفكار إلى قنابل وصواريخ وألغام . وما أدراك بالأنشطة الرياضية التى يروجون لها من صراعات فى الأندية وهوس الشباب باللاعبين وحياتهم التى يهتمون بها أكثر من اهتمامهم بممارسة الرياضة ، بل قد اقتحمنا بسهولة مجالات الفنون ، فدور السينما تعرض صور الخلاعة على شاشاتها الكبيرة ، والمسارح تقدم مهازل من طراز « اضحك بس ادفع » وتنتشر أغانى هابطة تقدم للشباب الحب بأرخص الأسعار ولكنه يكلفهم حياتهم .

إننا ياسيدى الرئيس نضع للبشر « السم فى العسل » وقد أصبنا الأسرة فى كل مكان بالنكد من الوزن الثقيل . « تصفيق حاد »

ونادى رئيس البرلمان على عضو لجنة الشئون الدولية الذى قدم استجوابًا للحكومة لتقصيرها الشديد .

رئيس البرلمان ينادى :

السيد عضو لجنة الشئون الدولية ، فليتفضل :

وقف هذا العضو وقد أمسك بأوراق حمراء ، ورفع نظارته ثم أنزلها على عينيه وابتدأ :

سيدى الرئيس ، السادة الأعضاء :

لقد تعودنا من حكومتنا أن تكون سباقة قبل أن تقع الأحداث ، لقد كان البشر منذ بدء الخليقة يطورون أنفسهم . فالأسلحة بدأت بالبلطة وانتهت بالصواريخ عابرة القارات . بل تطورت إلى أسلحة دمار شامل من كل الأنواع الفتاكة . وأيضا بدأ البشر يغيرون من طبيعتهم الأولى ، فهناك أبحاث فى الهندسة الوراثية بهدف توفير جميع حاجات البشر وأيضا يجرون أبحاثًا وتجارب على الاستنساخ لخلق جيل جديد ربما يكون قادراً على مواجهتنا وإبطال مفعول الاستراتيجية التى وضعتها حكومتنا . ما هى الضمانات التى تجعل حكومتنا قادرة على تنفيذ خطتها وفق الأهداف المرسومة ؟

قال رئيس البرلمان مؤيداً :

- أنا متفق معك . مما نراه ومانسمع عنه لايدعو للاطمئنان . نريد من الحكومة أن ترد على ما أثاره العضو ، لأن الأمر يتعلق بالثقة فى أسلوب أداء الحكومة .

والآن يتفضل السيد وزير الفوضى الدولية للرد على الاستجواب .

قام السيد وزير الفوضى الدولية واتجه إلى منبر المتحدثين وهو يحمل الكرة الأرضية وبدأ الكلام وهو يشير بعصاه النارية على مواقع الخريطة فى العالم :

- من قال إننا مقصرون ، إن لنا ممثلين فى شتى بقاع الأرض يعملون فى همة وسرية . فقاطعه رئيس البرلمان :

- وهل هناك ما يخفونه عن المجلس .

فأردف الوزير قائلاً :

- إلا . نحن نعرض أعمالنا بمنتهى الوضوح والشفافية . إننا نعمل فى الخفاء ولكن أعمالنا ظاهرة للعيان . ما ظهر سلاح على الأرض إلا وأصبح موجهًا إلى صدر الإنسان وأحيانًا إلى ظهره « تصفيق » .

منذ أن قتل قابيل أخاه هابيل والدماء تجرى في كل مكان . فهل تتصور أن الهراوة التى استخدمها الإنسان البدائى تحولت إلى صواريخ عابرة للبحار والجبال والصحارى . فبعد أن كان القتل عن قرب أصبح القتل عن بعد « تصفيق » . وأنتم تشاهدون كل يوم سيناريو

النزاعات ، وصور العنف والبؤس والحزن لاتنقطع ، إن البشر يمثلون هذا بإتقان وبراعة ولكن بدون فخر هذا من إخراجنا ولايخفى عليكم ، هذا « شغل شياطين « تصفيق » . والأغرب من هذا أن الدول التى تمد أطراف الصراع بالسلاح هى نفسها التى تقدم معونات للضحايا « يعنى شغل مصالح » « تصفيق » . ونحن لانتقاعس ، أسلحة الدمار الشامل التى كانت قاصرة على الدول الكبرى وصلت إلى الدول الصغرى ، وقد تقع فى يوم ما فى أيدى منظمات لاتقدر المسئولية وهذا ما يجعل البشرية فى «كف عفريت » «تصفيق» . إننا نتابع جميع أسلحة البشر وتطورها ماعدا سلاح واحد هو « سلاح شد الشعر » «تصفيق وضحك» .

رئيس المجلس يضرب بالمطرقة على المنصة :

– سكوت من فضلكم . ما يصعب على الجنس اللطيف .

فقامت وزيرة اليأس :

– لاياأخويا . إن سلاح شد الشعر لا يخضع للتفتيش الدولى .

فضحك رئيس البرلمان معقباً :

– معروف . إن سلاحكم يتمتع بالحصانة الجنسية عند وقوع مشاجرة بينكن ممنوع الاقتراب .

وأردف وزير الفوضى الدولية :

- ولم نتوقف عند هذا ، بل كنا ومازلنا نغرى العلماء ونرضى طموحهم عند إجراء الأبحاث العلمية ، للوصول إلى أساليب وابتكار وسائل لعلاج مشكلات البشرية . ولكننا لم ندعهم يسيرون بهذا المنطق ، فنحن ننحرف بهم إلى أبحاث أكثر جرأة فى الهندسة الوراثية وتخليق الخلايا ، من شاف أن ثمرة الباذنجان أصبحت مثل البطيخة ، وإن الكتكوت يصبح دجاجة كاملة فى أربعين يومًا . واستنساخ نعجة حين ينادون عليها يقولون لها « يادوللى» «تصفيق وضحك» .

فكل انتصار علمي يتصورونه هو انتصار لنا . انظر إليهم وهم يشكون من جنون البقر أو أنفلونزا الطيور .

نحن لانتركهم لهم ، إنهم يواصلون ذكاءهم العلمى ، فى إنتاج خلايا بشرية لتصنيع كائنات حية تتمتع بقدرات خارقة لاتتورع عن استخدام ماوصل إلى أيديها من أسلحة فتاكة ، وبذلك تدمر البشرية نفسها بأيدى أبنائها دون تدخل منا ، ولايجدون حجة علينا فيما يحدث لهم . «تصفيق حاد » .

رئيس البرلمان :

- لاأعتقد ، أن هذا الرد يعوزه أى تعقيب فقد كان عرض السيد وزير الفوضى الدولية واضحًا وكافيًا .

والآن مع السيد رئيس الحكومة : فليتفضل :

وقف رئيس الحكومة وقد انفرجت أسارير وجهه وانتفخت أشداقه ، لأن وزراءه الشياطين قد رفعوا من درجة لهيبه وقال :

- سيدى الرئيس . السادة أعضاء المجلس .

أريد أن أطمئن جميع الأعضاء وجماهير الشياطين ، إننا ماضون بخطى ثابتة وواثقة فى تحقيق استراتجيتنا بأسرع وقت وبأقل النفقات .

إن فريق الوزراء الذى يعمل معى ليس له أهداف خاصة إلا رفع شأن إمبراطوريتنا واكتساح كل من يعترض مسيرتنا .

ونحن مستعدون للرد على جميع الأسئلة والاستجوابات ونستجيب لكل الأفكار الهدافة . والاختلاف فى الآراء حول القضايا مقبول طالما يقوى موقعنا ويضعف من عدونا الإنسان .

واختتم رئيس البرلمان هذه الجلسة العاصفة :

- فى الحقيقة لايسعنا إلا أن نحيى رئيس الحكومة ووزراءه الناريين على هذه الردود القاطعة . وأطلب منكم الاقتراع بالثقة على استراتيجية الحكومة .

وهنا رفع جميع الأعضاء أيديهم أغلبية ومعارضة بالموافقة . وبعد ذلك وقف الجميع وهم يحيون حكومة الشياطين وراحوا يفرقون الدم والنار ويصفقون وأيديهم تنطلق منها موجات الشرار ....

نحن فى انتظارك

(١)

جلست أسرة مرجان أفندى حول المائدة ، الأب ومعه الزوجة والأبناء الأربعة . وتصدّر الأب المائدة مثل العائلات العريقة التى تتبع البروتوكول .

دار الحديث هذه الليلة حول وضع الأرض الزراعية . فقد قررت الحكومة تحرير الأرض من قيود كانت مفروضة فى الماضى ، ونزعها من تحت أيدى المستأجرين ، وصدر قرار بإرجاع الأرض إلى الملاك ودفن قانون الإصلاح الزراعى فى التربة .

مرجان أفندى رجل مثابر . خرج إلى الدنيا ووجد أن أرض والده أصبحت تحت أيدى الفلاحين الذين استأجروها بعقود دائمة مقابل إيجار زهيد .

وكان هذا الوضع صعباً ، ودخل الأرض لايكفى حاجات الأسرة ، وهو يرى الفلاحين المستأجرين وقد استفادوا من عائد الأرض أكثر من ملاكها .

وكان عليه أن يشق طريقه فى الحياة . ورأى أنه لابد أن يسعى للعمل فى القاهرة فهى أم كل من فقد أمه ، ومأوى لكل من لم يجد له مأوى فى الأقاليم .

فالمدينة تتمدد ، تتسع وتعلو وتغوص تحت الأرض لكى تواجه الزرافات القادمة من كل مكان .

أما زوجته فهى ربة منزل ، وإن كانت ملمة بالقراءة والكتابة ، فقد تعلمت كيف تدير بيتًا .

ولأن الظروف صعبة ، فقد كانت تضيف على الملابس عمرًا جديدًا سواء أن يستعمل الصغار ملابس الكبار أو يتبادل الأبناء مع بعضهم هذه الملابس . ولأنها تدرك غدر الزمان فقد أدخرت مبلغًا من المال من مصروف البيت واشترت ماكينة خياطة . استعملت هذه الماكينة فى تفصيل بعض ملابس الأسرة والجيران المعروفين فى الحى .

ولكن الأب لم يكن أقل إرادة عن زوجته ، فقد كان يبذل جهدًا أكبر فى عمله فى إحدى الشركات حتى نال تقدير رؤسائه لإخلاصه وتفانيه .

ولأن الحياة فى المدينة لها بريق ، فإما الصعود فيها وإما الضياع ، فقرر ألا يضيع وقته فى الجلوس على المقاهى ، ولابد من شغل وقت الفراغ .

اكتشف مرجان أفندى أنه يهوى الأشياء القديمة من أدوات وتحف . فراح يتردد على أسواق الخردة وعلى صالات المزادات .

وبعد سنوات استطاع أن يحوز على سيارة موديل قديم بسعر زهيد .

أخذ هذه السيارة وقام بتجديدها وتنجيدها ووضع فيها من لمسات الجمال مايرفع من قيمتها .

وشعر الأبناء بزهو غير قليل لأن لديهم سيارة تقف أسفل العمارة التى يقطنون فيها ، وإن كانت سيارتهم تقف على استحياء بجوار السيارات الحديثة ، إلا أن شعورهم بالعراقة كان يغلب على إحساسهم بالنقص أمام أصحاب السيارات الأثرياء حديثًا .

والرجل لايشعر بأى غضاضة وهو يقود سيارته وسط موديلات السيارات التى يرى أشكالها وألوانها ولكن لايعرف أسماءها .

ولكن الناس يطلقون أسماء غريبة على هذه السيارات ، فهذه سيارة شبح أو عيون أو خنزيرة ......

ولكن هذا لايهمه ، فالأهم عنده أن الجميع يقفون فى أدب عند ورشة الميكانيكى .

كبر الأبناء الأربعة وزادت مطالبهم مع نمو أعمارهم . وهذه المطالب المتعددة تحتاج إلى مورد متجدد . الابنة الكبرى تخرجت من الجامعة ومازالت تبحث عن فرصة عمل التى أصبحت كوبرى للزواج .

والابن الأكبر مازال يدرس بالجامعة ، وهو يحلم بأن ينتهى من دراسته ويشق طريقه فى الحياة .

والابنة الصغيرة فى المدرسة الثانوية وتحلم بالحصول على مجموع مرتفع للالتحاق بكلية تضمن مستقبلها .

والابن الصغير فى المدرسة الإعدادية وهو يحلم بجهاز كمبيوتر مثل بعض زملائه الميسورين .....

(٢)

أدركت الزوجة بخطر الموقف ، وأنها تعرف طمع الفلاحين والأقارب ، وإن زوجها لابد أن يسافر حتى لايضيع حقه فى الأرض ، فأهل الصعيد يطبقون المثل القائل « الغائب ليس له نائب » واقتنع مرجان أفندى برأى زوجته ، وأنه لابد أن يلحق مصلحته قبل أن يرحل والده .

فهو قد ترك القرية منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا ، ولايعرف أين تقع الأرض ، ولاسيما أن الكثير من هذه الأراضى ضاعت معالمها بعد تنفيذ مشروع الرى الدائم .

وأن المستأجرين قاموا بتحرير عقود مقايضات فيما بينهم حول هذه الأراضى التى تقع فى حياض مختلفة ، بحيث لايعرف الملاك أراضيهم التى تقع تحت أيديهم ، ولأن الأرض تغيرت أسعارها فى المدن ، فهو مع زوجته يعتقدان أن الأرض فى الريف قد أصابتها موجة الغلاء وزادت أثمانها .

وهو يرى ويسمع كيف تحولت أطلال القصور القديمة إلى أبراج شاهقة تباع فيها الشقة بأسعار خيالية . وراح يسرح بخياله ، لو كان ميراثه فدانًا واحدًا وسعر المتر ألف جنيه فأنه سوف يحصل على نصف

مليون جنيه بالراحة . أى أن دخله من الوظيفة خلال ربع قرن لم يصل إلى ربع هذا المبلغ .

جلست الأسرة في ردهة الشقة ، المقاعد من الطراز الأسيوطى المريح ، ويشجع المتحدث على إطالة الحديث ويعطى الجالسين راحة واسترخاء ولايشعرون بالملل .

وكان حديث الليلة الأكثر إشارة عن الأرض والبيع واستثمار ثمن البيع .

استهلت الأم الحديث :

- والآن ياأولاد مرجان لنا أن نودع أيام الشقاء .

فقد أعادت الحكومة الأرض إلى أصحابها الأصليين . والتقط الأب الخيط !

- بعدما أسافر إلى الصعيد ، استخرج بطاقة زراعية باسمى حتى تصبح الأرض تحت يدى وأشوف من يشترى هذه الأرض بالثمن الذى أرضاه .

قالت الأم :

الخطوة الثانية الأهم كيف نتصرف فى ثمن هذه الأرض .

قال الابن الأكبر :

- أنا أقترح . نشترى بثمن الأرض ، قطعة أرض فضاء فى مدينة نصر ونبنى عليها عمارة لنا .

قال الابن الأصغر :

- لا . نحن يجب أن نستمتع بالحياة ، كفانا من عيشة الفقر ، أنا عاوز تشرت ، وبنطلون جينز وحذاء دبابة ، وجاكيت منفوخ «ضحك» .

وقالت الأم :

- وإيه كمان يامفعوص .

- وكمان كمبيوتر بعدما أحصل على الشهادة الإعدادية . فتدخلت الابنة الكبيرة :

- شوفوا . نحن درسنا فى علم الاقتصاد أن هناك أولويات . فأنا الآن مخطوبة ومطلوب منا بعض الأشياء استعداداً للزواج . أريد توفير هذه المطالب بما يتناسب مع أسرة وارثة «ضحك» . وانبرت لها الابنة الصغيرة :

- أنا دايمًا منسية . أنا الآن فى المرحلة الثانوية وكفاية علىّ ألبس بقايا أختى الكبيرة ، الدول الصغيرة تحررت واستقلت عن الدول الكبرى « ضحك» . الأم تطيب خاطرها :

- أيوه يابنتى . الروس تساوت .

أمسك الأب بزمام القعدة :

- من حقكم أن تحلموا ، ولكن ليس من الواقع أن تختلف من الآن ، فالأحلام مشروعة والخلافات ممنوعة ، وكل شئ بأوان .

تنهدت الأم وهى تساند رأى زوجها :

- صبرنا ياأولاد على الكثير . وهانت .

ونام الجميع وكل واحد انشغل بالأرض وتأبط أحلامه التى سيطرت على منامه .

فى اليوم التالى وصل خطاب مسجل ومستعجل يخبره بأن والده مريض وفى خطر .

قال الأب : لابد أن أسافر .

وقالت الأم : يارب هات العواقب سليمة .

وقال الأولاد فيما بينهم :

ياترى هل كان كلا منا فألاً سيئًا على جدنا . خطرت لمرجان أفندى فكرة وهى أن يستقل سيارة من الشركة ، جديدة وجميلة وسريعة .

وطلب من زوجته أن تعد بعض الأشياء ليحملها معها لأهله وخاصة أنه لم يرهم منذ مدة طويلة .

واتفق مع سائق هذه السيارة أن يكتب له خط سير لمدة أسبوع ، وفى هذه المرة يرتاح السائق فى بيته ، ويستقل مرجان أفندى هذه السيارة للذهاب بها إلى قريته فى الصعيد .

وأخبر السائق بهذا الأمر فوافق فى الحال على هذه الفكرة ، وقال له فى مزاح :

- أبق هات لنا حاجة حلوة معاك من الصعيد .

وجهز السائق السيارة وأعدها لهذا المشوار الطويل ، واقترح مرجان أفندى على زوجته أن يسافرا بالليل حيث يكون الطريق الزراعى هادئًا وتقل فيه حركة السيارات والمارة وغيرهم ، على أن يصلا فى موعد الفجر .....

(٣)

قاد مرجان أفندى السيارة وبجواره زوجته ، وراح يسليها وهو يسرد لها قصة نجاحه فى العمل بالشركة ومدى مكانته عند رؤسائه ، منذ أن خطت قدماه باب الشركة وهو يتظاهر بأنه من عائلة عريقة احنى عليها الزمن ، وهو يتأنق بقدر ماليه من إمكانات .

فقال لزوجته :

- دخلت الشركة واستلمت العمل ، وجلست على مقعد أنتظر التوزيع . وبالصدفة كان المدير العام يتفقد أقسام الإدارة ، فوجدنى جالسًا أتصفح إحدى الصحف . فأشار إلى أحد مرافقيه وسأل عنى ، فأخبروه بأننى الموظف الجديد ....

فأمر بأن التحق بموقع الإنتاج .

فوجدت فى هذا الموقع فرصة لكى أثبت كفاءتى ، وقد أبديت من الجدية مما جعلنى أنا تقدير رؤسائى ، وأكتسب خبرة فى العمل .

فضحكت زوجته وقالت فى مزاح :

– وأنت عرفت السر . ليه كنت ترجع.

فنظر إليها مستنكرًا :

– يازوجتى العمل ليس مسئولية فحسب ، بل نشاط ، فالطريق طويل والمسافة بعيدة ، وهو يرفع صوته حتى لاتنام زوجته بجواره ، ويخفضه عندما يشعر أنها تصغى إليه باهتمام .

وزوجته تسمع بأذنيها وإن كانت لاتفكر كثيرًا فيما يقول ، وهى تنظر من حولها فلاترى شيئا سوى ظلال الأشجار التى تخترقها السيارة على الطريق .

وإن كان الطريق طويلاً، إلا أن الليل بهدوئه قد خفف من مشقة السفر .

وقد كانت كثرة المطبات التى تعرض السيارة بمثابة آلة تنبيه لزوجته حتى لاتنام .

فهذه المطبات الصناعية وضعت فى مداخل المدن وأمام مبانى المدارس للحد من السرعة ومنع الحوادث .

مدينة وراء مدينة ، وقرية وراء قرية ، منظر المدن جميل ، فالأضواء ساطعة تُظهر المبانى الحديثة ، والقرى علقت الزينات الكهربائية على مداخلها وكأنها تريد أن تلتحق بركب التقدم . ولما لا . فالأجهزة المحلية تتنافس فى المظاهر حتى لو كانت على حساب الداخل .

قطعت زوجته هذه الصورة :

– الليل أصبح كالنهار فى الصعيد . البلاد كلها أنوار . فاكر يامرجان لما كنا صغار فى القرية ولم تدخلها أنوار الكهرباء ، وبعد أن تغرب الشمس ويحل الظلام وتتحول الدروب إلى مجاهل ويتحرك الناس كالأشباح .

– فاكر ياستى .

– كنت تختبئ وراء مصراع البوابة الكبيرة وحين اقترب من مكانك تقول لى .... بخ .

فانتفض من زعقتها ، واهتزت عجلة القيادة فى يديه ، وكادت السيارة أن تنحرف إلى حافة الطريق ، فتمالك أعصابه وهدأ من السرعة ورفع صوته عليها :

– يامرأة . كاد صوتك أن يتسبب فى حادثة . أنا لست ثقيل السمع ....

– أنا بس كنت عاوزة أذكرك بأيام الطفولة .

– كانت أيام لاتنسى ، وأنت كنت بنتًا مشاكسة . وكنت تقذفينى

بحبات التمر من نخلة بيتكم .

وأغفلت هذا وسألته :

- ومن الذى عمل كل هذه الأنوار ؟

قال وكأنه عارف بما يجرى :

- البركة فى الدولة . كهرباء السد العالى نورت البلاد والبيوت ، المهم تنوير العقول .

قالت الزوجة وهى تتساءل :

- يعنى عقولنا مازالت فى ظلام .

قال الرجل شيئًا مما عرفه من الصحف .

- تنحل المشاكل ، تروق العقول ، تنور أفكار الناس ....

قالت الزوجة وكأنها تروق من شأنه :

- والله كلامك حكم . ماتروح ترشح نفسك فى اللى اسمه ...

قال زوجها بكل اعتزاز :

- لا ، أنا يكفينى إننى عضو فى اللجنة النقابية بالشركة .

اقتربت السيارة من القرية ، الطريق خالٍ أمامه ، زاد من سرعتها، وما كاد مرجان أفندى يقترب من مدخل القرية عند طلوع الفجر حتى فوجئ بجرار زراعى كان قادمًا من طريق جانبى تحت أستار الظلام ، فصطدم الجرار السيارة بشدة فأطاح بها وقذفها على الجانب الآخر

فاندفعت نحو الترعة التى تفيض بالماء والمجاورة للطريق السريع . وانطلق سائق الجرار بأقصى سرعة وهرب واختفى عن الأنظار بعيداً عن القرية .

وراحت الزوجة تصرخ من داخل السيارة وتستغيث ، وعلى أثر الصراخ أسرع بعض الفلاحين القاطنين بالقرب من موقع الحادث وأخرجوا السيدة فى حالة إعياء وهى مصابة بكسور .

ونظروا داخل السيارة فوجدوا أفندى منكفئًا على عجلة القيادة لايبدى أى حركة .

حملوا الزوجة إلى عائلتها التى هلّت على مكان الحادث ، ولما أقدمت الشرطة حررت محضراً ، وقامت النيابة بالمعاينة وأمرت بدفن الجثة .

ولكنها لم تصل إلى الفاعل الحقيقى حيث لايوجد شهود . وقيد الحادث ضد مجهول ، وأمرت بأعادة السيارة إلى الشركة .

والغريب أن الزوجة وجدت حماها مازال على قيد الحياة وهو مثل الحصان .

وعادت إلى العاصمة وهى تهلوس : الجرار . الأرض ولكن إشاعة سرت فى أنحاء القرية ، أن الجرار الذى صدم السيارة بدون قصد كان مملوكًا لمزارع مستأجر هذه الأرض ، وأن ابنه الشاب كان يقوده فى هذا الوقت المبكر للعمل فى مكان بعيد عن القرية ... والناس فى القرية يحكون ولكنهم غير مستعدين للإدلاء بأى شهادة .

زرع . حصد

(١)

دوار العمدة يقع فى وسط القرية ، البيوت متناثرة تربط بين نجوعها قنوات المياه وأشجار النخيل ، يعود الناس من حقولهم وقد جلسوا فى استرخاء تحت جدران البيوت وعند جذوع الأشجار .

يخرج العمدة من دوار العمدية وقت الأصيل ، يرفل فى ثيابه الفضفاضة وفى يده عصاه المصنوعة من خشب الأبنوس .

يسير العمدة فى شموخ يتفقد الرعية ومعه شيخ البلد ويقتفر أثرها شيخ الخفراء حاملاً بندقيته . يهب الناس من قعودهم واقفين تحية للعمدة . يلقى عليهم السلام ، فيردون عليه فى صوت واحد العمدة فى يديه مصير القرية وشئون سكانها . طاحونة العمدة يطحن فيها الفلاحون غلاتهم . ماكينة الرى تروى حقولهم وتسقى مواشيهم . تليفون العمدة وسيلة الاتصال بينهم وبين العالم . دوار العمدة هو مكان الصلح بينهم أو مقر الحكم عليهم . فالعمدة هو مفتاح القرية . فكل شئ يحدث تحت سمعه وبصره ولاكلمة إلا عن لسانه . وهو يمثل الحكومة بكل سلطاتها . وشيخ البلد هو يعرف فى شئون القرية كلها .

وكان لشيخ البلد هذا ولد وحيد لايفارقه ، فحين يمر أبوه مع العمدة فى القرية يسير مع ابن العمدة خلفهما ، ويشعر بالزهو حين يوحى برأسه كأنه يرد تحية الناس .

كل شئ يمكن أن يورث إلا الحب ، لايحصل عليه الإنسان إلا إذا دخل قلوب الآخرين .

التحق ابن شيخ البلد بالمدرسة ، أخذ ناظرها فى حسبانه أن يوصى المدرسين بمعاملة خاصة به ، التلاميذ يشعرون بفارق المعاملة ، لاداعي للعب معه ، حتى اللعب فيه طبقات ، فالغنى يلعب وهو مطمئن والفقير يلعب وهو متردد ، فالانتصار لاجدوى منه . والهزيمة تضاف إلى رصيده من التعاسة .

وفى يوم العيد يظهر كل شئ على حقيقته فى القرية . ابن العمدة وشيخ البلد وغيرهما يرتدون ملابس جديدة ، ابن شيخ البلد المدلل ينظر إليه الأطفال من بعيد ، يريدون الاقتراب منه ، ورغم ضآلة المسافة على الأرض إلا أن البعد الاجتماعى يزيد من هذه المسافة لتصبح كالبحر الذى يفصل بين أرضين . ولما اقترب منه أحد الأطفال وكان يرتدى ثيابا متواضعة لم يجد ما يشجعه على اللعب معه ، فرجع هذا الطفل إلى زملائه وأخبرهم بما حدث ، فخاب ظنهم .

وذات يوم أخذه أبوه لزيارة الباشا الذى يقيم فى قصره فى المدينة . ولما وصلا إلى المكان هاله منظر الحديقة الواسعة التى يشقها طريق واسع يؤدى إلى قصر الباشا .

وأثناء سيره شاهد رجلاً يرتدى طربوشًا وهو يأمر الفلاحين بالذهاب للعمل فى العزبة دون تأخير أو إهمال ، فسأل والده :

– من هذا الرجل ياأبى :

– فقال أبوه :

– هذا ناظر العزبة ، ومسئول عن أملاك الباشا .

فقال الابن :

– يعنى الباشا غنى .

قال الأب :

– عنده ألف فدان .

وصل الاثنان إلى القصر وكان الباشا فى استقباله وقد رحب به لأنه يعتبره الرجل الخاص به فى الانتخابات بالدائرة .

ولاحظ شيخ البلد أن الباشا تبدو على وجهه علامات الأسى فسأله :

– ماذا يشغل معالى الباشا .

– و الله الحال لايسر . الأخبار تتردد فى العاصمة أن الحكم فى حالة عدم استقرار .

طيّب شيخ البلد خاطره بما عنده من كلام :

– لاتشغل بال معاليك . مادام الباشا بخير دع الأمور تجرى كما تشاء .

قال الباشا وهو يتنهد :

- الأحداث تتحرك ونحن ما علينا إلا الانتظار .

ثم غير الباشا الحديث :

- هذا ابنك . أعتقد أنه وحيدك .

قال شيخ البلد :

- ربنا أعطاه لي بعد صبر طويل .

اذهب وقبل يد الباشا .

اقترب الولد من الباشا وأخذ يشخص إليه وهو يقبل يده ، فربت الباشا على كتفه ، وأمر بأن يحضروا له حلوى وبعض الألعاب ويأخذوه للعب فى القصر مع أبنائه .

اتجه الولد إلى بهو القصر فهاله ماراه من هذا البناء الفخم الذى يقوم على أعمدة ضخمة ، تنتهي بأشكال لايعرف معناها ، وامتدت فوقها سقوف زينت برسومات نقلت أجمل ما يسير على الأرض إلى هذا العلو الشاهق .

فرد زراعية الصغيرين حول العمود فلم يصل إلى تطويقه . فقال لبنت الباشا :

- تعالى وضعى يديك فى يدى حول هذا العمود .

اقتربت منه فى حياء ، وأمسك بيديها حتى يطوق العمود بذراعيه وذراعيها ، ولأول مرة يحس الاثنان بالدفء البرئ وشعر أنه يملك الدنيا وما عليها .

ولكن الفتاة سرعان ما سحبت يديها وتركته يتأبط العمود بمفرده وهى تضحك ، ثم دعته للعب معها فى حديقة القصر والجرى بين الأشجار وظل الاثنان يجريان إلى أن وصلا إلى مكان النافورة فى وسط الحديقة ، فجلس الاثنان حولها فقال لها وكأنه يترجاها :

– إبقى تعالى عندنا نلعب وسط بستان النخيل .

كان شيخ البلد من المعروفين بأنه يد العمدة اليمين ويوفر عليه الكثير من المشكلات ويعينه على السيطرة على القرية ، وكان ذا حيل غريبة فى صد المطاريد الذين يغيرون أحيانًا على زمام القرية .

وكان لا يقبل بأن ينافسه أحد فى النفوذ .

وإذا ظهر شخص متمرد وخارج على القانون أو يرتكب أفعالاً شائنة ، فإنه يستدعى شخصًا آخر يتطلع إلى التقرب من العمدة ويقول له :

– عاوزك تتخلص من فلان . وأنت تصبح واحداً من رجال العمدة . أنا اخترتك وعارف أنه لا أحد غيرك يعملها .

يقول الرجل فى تردد :

– ياشيخ البلد ، أتعرض للمحاكمة ، فيها مؤبد .

يقول له وقد وضع يده على كتفه :

– لا ياعبيط . أنت تنفذ العملية وتسرع إلى الدوار . وأنا أشهد أمام الحكومة إنك موجود معى فى الدار وقت وقوع الحادث .

ويذهب الشخص غير المرغوب فيه ، ويقتل ذلك الشخص المارق ويسرع ليحتمى بدوار العمدة . وما هى إلا دقائق ويجرى العمدة اتصالاً بالمركز . وفى وقت قصير تحضر سيارة الشرطة وتتجه إلى دوار العمدة .

يدخل الضابط ويقول :

- خير ياعمدة .

فيرد العمدة فى فخر وارتياح :

- كل شئ تمام ياحضرة الضابط .

القتيل مطروح خارج القرية ، والقاتل قبضنا عليه ومحجوز فى الدوار وسلاحه معه ...

ويرد الضابط فى استظراف :

- طول عمرك توفر علينا الجهد للبحث عن القاتل . الأمن مطلوب . هكذا العمدية .

(٢)

بعد قيام الثورة ، التحق الابن بالمدرسة الثانوية فى المدينة ، يمتطى الحمار كل يوم والخفير يجرى وراءه . بينما أولاد القرية يذهبون على أقدامهم وهم يعانون الأمرين ، إنهاك الأحذية ومشقة المشى .

يقف فى فناء المدرسة ، يخرج من حقيبته فى الفسحة أنواعًا من الحلوى «عصا الملك » ويقطم فيها بأسنانه فيحدث صوتًا عند قضمها ، أنها حلوى لها مذاق وصدى . بينما زملائهم يدسون أيديهم فى جيوبهم ويخرجون بضع ثمرات ، شيء من الحلوى يزيل مرارة الفوارق فى العيش .

اقترب منه أحد زملائه المشهورين بالرزالة ، فهو يخطف الأشياء من التلاميذ ويقول لهم فى خفة :

- اللى يحصلنى يردها منى .

ثم اقترب من ابن شيخ البلد وقال له :

- هات قضمة من هذه العصا .

فرد عليه ابن شيخ البلد :

- هذه عصا تؤكل . وأنت لاينفع معك إلا عصا تضرب بها . ها . ها . ها .

وهنا ينبرى زملاؤه ويسخرون من صاحبهم ، ويتشاجرون ، ويختلط صياحهم مع عراكهم ولا يتوقفون حتى يدق الجرس ويسرعون إلى الفصول . ذات يوم ، بعد ما خرج المدرس من الفصل ، تشاجر ابن شيخ البلد مع زميله المعروف بإلحاحه بين زملائه ، زميله لم يرضى بالظلم ، الغنى والفقير سيان ، الثراء قد يرثه بعض الناس ، ولكن العزة للجميع . سفينة الكرامة لاتسبح فى بحار الخوف ، أنه يريد أن يثبت وجوده ويسترد بعض كرامة زملائه الذين يذلهم قولاً وضربًا كل يوم .

أمسك بابن شيخ البلد ، حشره فى الدرج ، نزل فيه ضربًا ، التلاميذ يتصايحون بين إعجاب وإشفاق . فما كان من ابن شيخ البلد بعد أن شعر بالإهانة ، إلا أن استل مطواه من حزامه وطعن بها زميله فى صدره ، فأرداه صريعًا .

الدماء تسيل بغزارة تختلط بالكتب ، تتناثر على الأدراج ، وتسيل على الأرض .

دق جرس التليفون فى دوار العمدة .

– إلحق ياعمدة ، ابن شيخ البلد قتل زميله فى الفصل . شيخ البلد يمتطى حصانه ويسرع ويصل إلى المدينة . يتوجه إلى صديقه المحامى المشهور بالدهاء . استقبله المحامى :

– خير ياشيخ البلد .

قال وهو يلهث :

– الولد . ولدى الوحيد قتل زميله فى الفصل .

طعنه بمطواه . نعمل إيه ياأستاذ .

أطرق المحامى رأسه على مكتبه ورفعها وقال :

– نحن فى سباق مع الزمن . هيا بنا إلى المدرسة ، قبل أن تصل الشرطة والنيابة . لابد من فكرة ، انطلق الاثنان إلى المدرسة ، الخطوات تسبق الأفكار . وصلا إلى المدرسة . رجال الشرطة حول مسرح الحادث . المعلمون يقطعون الفناء كأنهم يشرحون المأساة . التلاميذ تسلقوا أسوار المدرسة ويصيحون .

– الموت للظالم . الإعدام للقاتل .

الآباء يضجون أمام باب المدرسة :

– أبناؤنا فى خطر . أين المسئولون .

رجل عجوز تتساقط الكلمات من بين شفتيه .

– أصل مفيش تربية . من يوم ما خلعنا الطربوش والأخلاق راحت .

فيرد شاب ساخراً :

– يعنى طربوشك كان راح يمنع القدر .

الفتى القاتل محجوز فى حجرة ناظر المدرسة .

اختلى المحامى بهذا الفتى ، وكان صبيًا يمتلئ حيوية وفتوة ونضارة وخشونة ، وشرح له بأن يمثل ويدعى الجنون .

أخذ هذا الفتى يصيح أمسك بالمطواة ، وراح يطعن بها مقاعد حجرة المدرسة ، ويحطم النوافذ . الزجاج يتطاير . المنظر لفت أنظار الجميع .

وصلت النيابة ، السكون خيم على المكان . لاصوت يعلو على صوت العدالة .

وجد وكيل النيابة القادم من عاصمة الإقليم ، تلميذاً غض العود ، مصاباً بحالة هياج . أمر وكيل النيابة بنقل الجثة إلى المستشفى ،

ويكتب الطبيب الشرعى تقريراً عن سبب الوفاة والتصريح بدفن الجثة . التلميذ فى حالة هياج مستمر ، هذيان ، صياح ضد الناس . المحامى يهمس فى أذن شيخ البلد :

- الولد قام بتمثيل الدور بإتقان . ولاممثلى السينما .

بدأ وكيل النيابة التحقيق ، استدعى شهود الحادث ، الناس محتشدون على أعصابهم .

جاء بالشهود من التلاميذ والمدرسين والعمال ، بعضهم قال أن الغلام غير طبيعي ، ارتكب جريمته بعد مشاجرة . والبعض قال قتل زميله فى حالة هياج . سأل وكيل النيابة الغلام ، فكان يهذى . الواقفون يتهامسون الولد باين عقله راح .

هذا المشهد غير مألوف فى المدارس .... بعد أن أفاق ناظر المدرسة من الصدمة ، راح يسأل نفسة عن مدى مسئوليته فى هذا الحادث .

ولكن وكيل النيابة بعد أن انتهى من سماع الشهود قطع عليه حبل أفكاره واستدعاه وبادره بالسؤال :

- ما هو النظام المتبع فى المدرسة ؟

رفع ناظر المدرسة رأسة وراح يتأمل فى وكيل النيابة الشاب ، وشرح كيف دارت الأيام وتحول من سائل إلى مسئول :

وأعاد وكيل النيابة السؤال عليه بلطف :

– هل سيادتك معى ؟

تنبه ناظر المدرسة إلى السؤال وقال :

– نعم هناك نظام موضوع منذ دخول الطلاب باب المدرسة إلى انتهاء اليوم الدراسى .

ولكن وكيل النيابة سأله بالتحديد :

– هل هناك رقابة على سلوك التلاميذ ؟

فقال ناظر المدرسة :

– الإشراف موجود على مدى اليوم كله ، ماعدا الخمس دقائق بين الحصص وهو الوقت الذى وقعت فيه الحادثة .

لم يجد وكيل النيابة أمام هذا المشهد المأسوى ، تلميذًا فى عمر الزهور ، أحدهما ممدد على الأرض ، والآخر فى حالة هياج ، إلا أن يأمر بترحيل الغلام إلى مستشفى الأمراض العقلية بالقاهرة ، مع وضعه تحت المراقبة وكتابة تقرير عن حالته .

(٣)

حمل القطار السريع الغلام مع حارسيه إلى القاهرة على أن يسلماه بخطاب النيابة إلى إدارة المستشفى .

همس المحامي فى أذن شيخ البلد وهما عائدان :

– ما هى إلاأيام ، ويصل التقرير بحالة ابنك ، وتحفظ القضية .

فسألة شيخ البلد :

– وماذا عن مصير الولد ؟

قال المحامى فى ثقة :

– يعود بعد فترة صغيرة . اطمئن .

قال شيخ البلد وضميره غير مستريح :

– وأنا سوف أبعده عن القرية ، وأجعله يعيش فى القاهرة ، وألحقه بمدرسة هناك .

أهل القرية يتهامسون ...

الفلاحون وهم جالسون فى سهراتهم على المصاطب :

– شيخ البلد مسكين . ابنه الوحيد أصُيب بالجنون ، ياوارث الأرض من يرثك .

أما النساء يتغامزن فوق سطوح المنازل :

– لابد أن شيخ البلد يتزوج من امرأة ثانية :

المفترى عليه الله . الفقير ليس له نصيب فى الدنيا .

وقفت الصبايا عند بئر القرية وهن يثرثرن :

– ابن شيخ البلد صورة الفارس الذى ضاع .

كل بنت كانت تحلم بأن يكون عريسها مثله . بعد مرور شهر وصل التقرير إلى النيابة ، ضموه للقضية . حفظت القضية لعدم المسئولية .

حكمت محكمة الأرض ، ولكن محكمة السماء تقضى بشئ آخر .

أهل القتيل فوضوا الأمر إلى الله ورضوا بقضاء الله وقدره .

سافر شيخ البلد ومعه المحامى إلى القاهرة لإخراج ابنه من المستشفى وتدبير أمر معيشته بالعاصمة . وفى ديوان القطار قال شيخ البلد للمحامى :

– أنت عملت معى معروف العمر كله .

أجاب المحامى فى ثقة واستحياء :

– أنا فى خدمة شيخ البلد .

قال وهو يريد أن يتأكد :

– تفتكر الحكاية انتهت بعد حكم المحكمة .

قال المحامى :

– أفضّل أن ابنك يعيش فى القاهرة بعيداً عن عيون أهل القرية ، ويستكمل دراسته .

قال شيخ البلد :

– وأنا أرتاح من مشاكله . وكفانى مشاغل القرية .

ذهب الاثنان إلى المستشفى . قابلا المدير الذى استقبلهما بترحاب .

قال المحامى للمدير :

- شيخ البلد يريد أن يأخذ ابنه :

صمت المدير قليلاً وقال وهو يهز رأسه .

- تعال شوف ابنك بنفسك .

اتجهوا إلى الفناء ، بحثوا عنه ، رأوه من بعيد واقترب الفتى قليلاً ، ووقف أمام طابور من النزلاء المرضى الأكبر منه سنًا ، وسمعه وهو يقول لهم بصوت متعجرف :

- أنا الملك . وأنتم الرعية .

اقترب منه أبوه وقد أصابته الدهشة :

- تعال يا ...... أنا أبوك .

قال الولد وكأنه يستنكر :

- ليه تأخرت عن الطابور . أنت مش عارف إن الطابور هنا له مواعيد !

شعر أبوه بالذهول وصاح فى وجه المدير :

- ماذا جرى لابنى ياسيادة المدير .

هز المدير رأسه وجذب الأب من المكان ومضى به إلى طرقة طويلة ، وأمسك بيده وكأنه لايريده أن يبعد عنه أو أن يفلت من القدر الذى ينتظره .

شيخ البلد استعجله وهو منزعج .

– أريد أن أعرف حالة ابنى .

تنهد مدير المستشفى ووضع يده على كتفه برفق وشعر لو أنه احتضنه حتى يخفف من وقع المأساة وقال له فى إشفاق :

– للأسف الشديد . ابنك أصيب بحالة صعبة ، هو ذهان العظمة . وعندنا فى الطب يعرف بمرض البارانويا .

اضطرب ، لايعرف معنى هذا اللفظ ، ولكنه فهم من كلام المدير أن ابنه ضاع .

ثم نظر إلى المحامى نظرة ذات مغزى ، فالمحامى الذى استعان به لإنقاذه من بئر أوقعه فى ساقية لا قرار لها .

وقف المحامى واجمًا ، خفض رأسه إلى الأرض ، وكان صوتا يجلجل فى ضميره مؤنبًا .

يحاول الإنسان أن يفلت من عقاب الأرض ، ولكنه لن يستطيع أن يفلت من عقاب السماء ، أجهش شيخ البلد بالبكاء وهو يقول :

– حكمت على ابنى بالإعدام وهو حى .

حقل العمدة وجحشه

(١)

عند الأصيل يلتقى فتيان القرية ، يجلسون وقد اتكأوا بظهورهم على جذوع النخيل المتناثرة حول القرية . الشمس تميل إلى الغروب ، وتخيم أشعار الظلام على أجواء القرية .

لاتوجد أشياء تسلى همومهم . لاملاعب ولانادى ، لامكتبة ، هناك مذياع يتصدر مقهى فى سويقة القرية يلتف بعض الفلاحين حوله .

توجد مدرسة ابتدائية فى أحد بيوت العمدة يلتحق بها بعض أبناء القرية ، والقليل منهم من يكمل تعليمه فى المدرسة الإعدادية بالمدينة .

تغرب الشمس ، وقد رجع الفلاحون من حقولهم وقد جرّوا مواشيهم إلى البيوت .

ولكن الشباب يستمرون فى السهر ، لاحديث بينهم إلا ما رأوه أو سمعوه .

كانت أحلامهم لا تتعدى التفكير فى فرصه عمل عند العمدة أو أحد الأثرياء بالقرية .

لاتوجد فرص أخرى غير الاشتغال بالحقول فى النهار واجترار الهموم بالليل .

وهم فى هذه الحالة تطرق الحديث إلى العمل خارج القرية . يقولون أن بعض الناس ذهبوا أو نزحوا من القرية للعمل فى المدن أو البلاد الساحلية ، وهناك من سمع أن بعض الأشخاص قد بحثوا عن عقود للعمل فى بلاد الخليج .

أخذ كل شاب يعبر عن حلمه فى الفرصة التى يتمنى أن يجدها فى أى مكان . هؤلاء الشباب متعلمون ولكن للأسف لم يكملوا تعليمهم بسبب ظروف عديدة تتعلق بالأسرة وأعباء الحياة .

سأل أحد الرفاق الولد صفوان :

- وماذا تفعل ياناصح ؟

استرد صفوان أنفاسه وقال فى ثقة :

سوف أذهب للعمل فى إحدى الدول العربية ومعى كل العزيمة لكى أكافح هناك وأعود ومعى خمسون ألف جنيه .

راح رفاقه ينظر كل منهم إلى الآخر ، وكأنهم لايصدقون مايقوله صفوان ، ربما يهذى من ضربة شمس أصابته أو هو غارق فى أحلام الغنى من شدة البؤس الجاثم على صدره.

قال الأول :

- وكيف تجمع هذا المبلغ ؟

وقال الثانى :

من يستطيع حصر هذا المبلغ ؟

قال الثالث :

وماذا تفعل بعد العودة بهذا الكنز ؟

استجمع صفوان قواه ليرد على أسئلة أصحابه بعد أن حاصروه وقال فى حكمة المجربين .

– اسمعوا ياأولاد ، طول الأمد تبلغ المراد ، وحصر المبلغ ليس صعبًا . فالمبلغ عبارة عن رزم وكل رزمة بها مائة جنيه أو دينار وأعد الرزم وأعرف المبلغ كله . أما كيف أتصرف فى هذا المبلغ فلا أطمع فى شئ ، سوف أشترى غيط العمدة ، وأركب جحشه وأمسك شمسية مثله ، علت الدهشة وجوه أصدقائه . ضحكوا من القلب كأنهم لم يضحكوا من قبل ....

الفلاحون يقعدون تحت الحيطان ، والنساء يتربعن على الأعتاب ، وهات ياكلام عن ابن الغفير الذى يهبط عليه كنز من السماء ويشترى غيط العمدة ويركب جحشة ويمسك شمسية مثله .

وصل الكلام إلى العمدة . أرسل إلى الخفير .

حضر الخفير مسرعًا ووقف بين يدى العمدة .

– تحت أمرك ياحضرة العمدة .

قال العمدة وهو غاضب :

– هل سمعت ما أشاعه ابنك فى القرية ؟

قال الخفير والكلمات تنتفض على شفتيه :

– الولد بيخرف . أصله أصيب بضربة شمس .

تدخل شيخ البلد وهو يطيب خاطر العمدة .

ابن الخفير يعانى من ضربة الفقر الذى يكثر من أكل الفول ، يحلم برائحة اللحم ...

لم ينس صفوان وهو صبى صغير ، وأبوه يجرى خلف حمار العمدة بالنهار ، ويتولى حراسة الدرك فى الليل وهو يصيح بأعلى صوته فى سماء القرية :

مين هناك : إحم ، إحم ،

ويرى أباه وهو يرفع الشمسية فوق رأس العمدة ليستظل بها عند وقت الهجير . وظل يتذكر كيف كان يحمل مخلاه يحشر فيها كتبه وغيره من أثرياء القرية يحملون حقائب ، فانقطع عن المدرسة . وكيف كانوا يرتدون ثياباً أنيقة توحى بما هم فيه من ترف العيش ، بينما هو يرتدى جلباباً مرة يكون طويلاً يكنس به تراب الأرض ، ومرة يكون قصيراً يكشف عن قدمين ملطختين بالقشف .

لكن الأيام تغيرت وهبت رياح التغيير على القرية الوادعة التى تقع على الترعة . فبعد سنوات أقامت الدولة أول خزان للمياه النقية الذى أعلى من بيت العمدة ذاته ، وامتدت أعمدة الكهرباء فى الدروب فأضاءت القرية . وابتدأ الناس يسهرون والبعض من أهل القرية وصل تيار الكهرباء إلى منزله ، وبدأ الناس يستفيدون من هذا النور .

والأغرب من هذا بدأ رغيف الفينو يغزو القرية ويباع لدى المطاعم ويزاحم الرغيف الشمسى ، لكن الذى بهر صفوان وسحره هو تلك البطاطين التى تدلت من شرفات بعض بيوت القرية التى ذهب أبناءها للعمل فى البلاد العربية . بطاطين ذات أشكال وألوان تحمل رسومات لم يرها من قبل . جمع كل ما أدخره من العمل الشاق فى القرية وقرر السفر والمغامرة فى بلاد الخليج .

(٢)

ركب الطائرة ولأول مرة فى حياته يجد نفسه معلقًا فى السماء ، كان آخر وسيلة استعملها هى أتوبيس الأقاليم الذى يوصل الناس إلى المدينة ، نزل فى إحدى البلاد العربية فى الخليج ، ذهب إلى إحدى أبناء قريته ليجد المأوى عنده .

اشتغل فى جميع الحرف . وفى شتى الأوقات . لاراحة بعد اليوم . التعب يحقق الأمل . كان ينام مع أبناء قريته فى حجرة ، فهو يريد أن يأنس بهم ويسعى إلى التوفير .

مضت سنوات طوال ، تعددت أعمال وتغيرت أحوال ، وجلس مع أبناء قريته وراح يسرح بهم فى ساعة صفاء وقال إن أمنيته أن يكون صاحب أرض يطرق صراف القرية على باب بيته ويقول له :

– فين ضريبة المال على الأرض .

ويشعر بالسعادة حين يدفع المال ويضع الإيصال الأحمر فى جيبه .

ويردد هذا الهاجس ويواصل :

- نفسى أتعامل مع الحكومة . مش مهم أكون غالب أو مغلوباً منها .

ويوم المنى تكون هناك قضية مرفوعة من الحكومة ضده فى المحكمة ، كأن يكون مديوناً من بنك القرية وتأخر فى سداد القرض ، ويرفع أشهر محامى فى المركز . يأخذ مايريد من أتعاب ، الأهم أن المحامى يقف معه أمام منصة القضاء ، ويقوم بدفع المبلغ ويمسك إيصال السداد ، القاضى يحكم بالبراءة ويرفع الإيصال فى وجه أهل القرية :

- أنا وقفت ضد الحكومة . المحكمة فصلت بينى وبينها . يحيا العدل .

زملاؤه يضحكون ، وأخذوا يقذفونه بالوسائل ويصيحون :

- قم جهز العشاء . وأخمد ونام .

كان من عادته أن يتمرغ فى فراشه ، ويصيبه الأرق ، وعيناه مفتوحتان تتطلعان نحو السقف . وكل واحد من زملائه يقوم ليلاً بين الحين والحين يجده على هذه الحالة فيقول له :

– طار النوم من عينيك . طيرت النوم من أعيننا . فيغمض عينيه قليلاً ولايرد ، ويتظاهر أنه نائم . وذات ليلة استغرق فى النوم طويلاً فقد اتفق زملاؤه على أن يوكلوا إليه عملاً متواصلاً ومرهقًا حتى يصاب بالإجهاد ، ولايعاوده الأرق أثناء الليل ويسبب لهم الإزعاج .

ولكن فى هذه الليلة انتفض من نومه مذعوراً وراح يصرخ بأعلى صوته :

– إلحقوا أبويا ...

قام الجميع فزعين من نومهم .

– ياساتر يارب . ماذا جرى لك ؟

أسرع أحدهم بقلة الماء وأعطاه جرعة منها .

تنهد قليلاً وصدره يضطرب وسألوه :

– إيه الحكاية . ؟

قال وهو فى حالة إعياء :

– رأيت حلماً فظيعاً فى المنام .

قالوا له :

– اللهم اجعله خير . قول يامزعج .

قال فى أسى :

– رأيت العمدة وهو خارج من الدوار ، وقد فرد جسمه وأصبح زى المارد . وقد مسك بسوط طويل أطول من رسن الجمل ، وأبويا واقف على البعد منه وهو خائف ومضطرب .

ولكن طرف السوط يصل إليه ويلتف حول خصره ، وأبى يصرخ ويقول له :

– لاياحضرة العمدة ، .... العين ماتعلاش على الحاجب . الولد سافر وترك القرية .

ولكن هناك صوتًا أجش من فم العمدة :

– ولكن الإشاعة مازالت باقية فى القرية . لاأسمعها بأذنى ولكننى أراها فى عيون الناس ، نحرق الشوك وأثره مازال فى الأرض ....

وأنا قال واقف من بعيد ، وصوتى محبوس لا أستطيع الكلام ، ورجلاى كأنهما مقيدتان . وجمع غفير من أهل القرية واقفون غير قادرين على الحركة أو الكلام ، وأبى يصرخ ولامغيث .

ضحك زملاؤه :

– حلم غريب . عاوزين واحد يفسره .

فانبرى أكبرهم سنًا :

– شوفوا ياأولاد . السوط ده إنذار من السماء يقول لك كفاك تفكيرًا فى غيط العمدة .

(٣)

انفجرت حرب الخليج ، اصطدمت الدول مع بعضها . أساطيل تسبح فوق المياه ، أسراب طائرات تسد عين الشمس ، دبابات تزحف .

مدافع تدوى ومدرعات تتحرك . جحافل جنود تدك الأرض . ما هذه المناظر . قامت القيامة . من ضد من ؟ وسائل الإعلام تبث كلامًا وتعرض صورًا مختلفة . دوى المعارك يصم الآذان . الدخان كثيف فى الفضاء . المعركة فى القرية لاتزيد عن بضعة أفراد يتشاجرون وفى أيديهم بعض العصى والطوب . ولو أطلق شخص رصاصة واحدة من بندقية خرطوش تنقلب القرية وتنزعج الحكومة .

اشتدت المعارك ، لامكان للشجاعة . الواقع يحرق الأحلام ، أصحاب المعارك يضربون بعضهم بعضًا ، ولكنهم يعرفون كيف يحتمون ، بينما الناس يتوقعون الموت فى أى لحظة وفى أى مكان .

أصبحت الأخطار تحيط بهم من كل جانب . جلس مع زملائه فى الحجرة واجمين . يبدو أن السلطات سمحت للأجانب بأن من يريد الخروج يذهب عبر منافذ معينه . اتفقوا على الخروج من هذا الجحيم . أخذوا سيارة . اتجهوا إلى الحدود . قادهم حراس الحدود إلى خيام اللاجئين ، حتى يحين دورهم فى الترحيل إلى البلد التى جاءوا منها . كان عليهم أن يحملوا معهم ما خف من الأشياء عند الحدود ضاعت الأحلام مع ضياع بعض النقود التى ادخروها .

رجع إلى القرية مع الراجعين ، وما أن خطا بأقدامه فى مدخل القرية حتى شاهد منظرًا غريبًا .

جموع غفيرة من المواطنين واقفة على الصفين فى الشارع الكبير الذى يشطر القرية إلى نصفين .

لفت نظره أن القرية تغيرت ، ظهرت مبانى من الخرسانة المسلحة ولها شرفات وترتفع عده طوابق غير البيوت التى تركها قبل سفره والتى بنيت بالطوب اللبن . الوقت مع الأصيل .

وقف مع الواقفين ، واعتقد أن العمدة سوف يمر وأهل القرية واقفون لتحيته كالعادة .

تذكر أباه وأيام البؤس ، وهل مامعه من نقود يكفى لشراء بعض القراريط من الأرض أو هدم بيت أبيه وإعادة بنائه ليضاهى بيوت الآخرين ، ولكن رجلاً معروفا من أهل القرية تعرف عليه وقطع حبل أفكاره ، ومال عليه وهمس فى أذنه :

- حمداً لله على سلامتك ياولد الخفير .

رد عليه فى اندهاش :

- ماذا يجرى هنا ؟

قال الرجل المخضرم وهو يبدى من الأسى ما ظهر على تجاعيد وجهه :

- الذى حدث لم نسمع قبله من الجدود . ولا نعرف من السبب .

قال صفوان وقد شعر بالقلق :

- أريد أن أعرف .

وراح يصغى إلى الرجل المخضرم ويسمع منه ما حدث فى هذا اليوم المشئوم .

– فى صباح هذا اليوم ، ركب العمدة حماره المعروف « بالمجرى »
وكان أبوك كعادته يسير وراءه . فالعمدة لايستغنى عن أبيك ولا نرى أباك ، فإننا نتعجب ، وإذا رأينا أباك سائرًا وحدة انشغلنا على العمدة .

فقال صفوان فى سره :

– لزقة بعسل . حتى بعد أن سمع العمدة أننى تطلعت إلى ما عنده .

أردف الرجل كلامه :

– ولأن العمدة كان فى عجلة من أمره ، فقد طلب من أبيك أن ينخس الحمار حتى يصل بسرعة إلى مركز الشرطة ، فهو يريد أن يدعو المأمور والضباط لحضور حفل فى الدوار بمناسبة عيد ميلاد ابنه الوحيد الذى أنجبه من قريبته وكتب له الأرض باسمه .

فابتسم صفوان ابتسامة صفراء وقال فى نفسه .

– يعنى الأرض ضاعت .

واستمر الرجل فى حديثة :

– ولكن أباك الذى أنهكه الجرى وقطع أنفاسه فقد ضرب كفل الحمار بمؤخرة البندقية التى كان يحملها ، فاندفع الحمار وإذا به يتعثر فى حفرة بالطريق فانكسرت رجله الأمامية وسقط العمدة من على ظهر الحمار وانكفأ على وجهه فاصطدمت جبهته بحجر على جانب الطريق ، فصرخ أبوك وأسرع الناس ونقلوا العمدة إلى المستشفى . فحملق صفوان فى وجه الرجل المخضرم :

– ياخبر . وماذا جرى للعمدة ؟

فقال الرجل الذى عاصر وفيات الكثيرين فى القرية من أعيان وفقراء ، وكأن الأمر طبيعى ، فالموت هو الشئ الوحيد الذى لايفرق بين البشر .

– ونحن الآن واقفون فى انتظار موكب الجنازة .

فقال صفوان وهو يسوق الهبل على الخبث :

– وماذا جرى للشمسية ؟

فنظر إليه الرجل وقد رجع بذاكرته إلى الوراء وتذكر الحكاية القديمة التى شاعت فى أنحاء القرية ، فقال :

– آه . الشمسية . اتقصفت إلى نصفين . ارتحت ياابن الخفير . ولو شافك أهل العمدة فسوف يقصفون رقبتك .

وقف صفوان بجوار الرجل وقد ركن حقيبته بين رجليه ، صامتا لايعرف ماذا يقول ، كأنه ينتظر منه ما يشفى حيرته أو يحتمى به مما يتوقع من خطر .

تعجب صفوان أن القرية الهادئة التى تركها كانت لاتكف عن الحديث عن حكايته . والآن تقف الجموع فى وجوم عند رحيل العمدة .

مر موكب العمدة يتقدمه مأمور المركز ومعه الضباط ، ووسط صياح الواقفين ونواح المشيعين ، وشعر كما لو أن أحلامه التى تمزقت من وطأة دوى طبول الحرب ، فإنها تبخرت وسط دخان هذا المشهد المهيب .

وبعد إنهاء سيرالموكب وتفرق الناس إلى ديارهم ، وأسدل الليل أستاره على بيوت القرية والناس يحكون عن هذا العمدة القوى الذى يتميز بجبروته ، وبقدر ما كان جباراً فقد كان عادلاً ، فهو لايتردد فى أن يرجع للمظلوم حقه حتى لو كان فى حنك الأسد .

تسلل صفوان إلى البيت الذى خيم عليه الحزن وألقى بحقيبته فى مدخل الباب ، وقد استقبلته أمه وأخواته والدموع فى عيونهم ، وهو لا يعرف أهى دموع الفرح بعودته ، أو هى دموع خيبه الأمل التى صحبته .

ويادر أمه بالسؤال :

– أين أبى ياأمى ؟

فقالت الأم التى تحملت عبء البيت كله لانشغال أبيه فى دوار العمدة ، والدموع تسيل على خديها .

– أبوك فى المركز يسألونه كيف مات العمدة . فالناس يقولون فى القرية أن أباك مسئول عن حياة العمدة ....

حضن التابوت

(١)

روعة الحضارة

حضرت إيلين بيرجر السائحة الألمانية مع وفد سياحى ألمانى لرؤية آثار مصر العظيمة .

الوفد يضم شباباً يتلهف على زيارة مصر ، وعجائز قادمين لدراسة الآثار على الواقع .

وفى صباح يوم مشرق صحب المرشد السياحى الوفد إلى منطقة الأهرامات .

وصل السياح إلى ساحة الأهرامات ووقفوا أمام هذا الصرح الهائل الذى سمعوا عنه وقرأوا عنه فى الكتب ، ولم يروا مثيلاً له .

وقطع المرشد السياحى دهشتهم ، ووقف بهم عند سفح الهرم الأكبر وراح يشرح لهم :

– هذه الأهرامات التى ترونها أمامكم هى أقدم مبانى بقيت بهذا الشكل على وجه الأرض ، وهى أعلاها وأعظمها ، وأقوى ، وإن كانت ناطحات السحاب التى يتباهى بها المهندسون فى القرن العشرين ينبهر البعض بها ، إلا أن هذه الأهرامات مازالت تبهر الجميع . وتشغل بال علماء الآثار وتثير ظنونهم . ولكن أحد السياح أسرع : وقال :

- ولكن ناطحات السحاب مثل الإمبرستايت فى نيويورك يصل ارتفاعها إلى ٣٠٠ متراً ، أى ضعف الهرم الأكبر ولها فوائد عديدة .

ولكن المرشد السياحى بذكاء ولباقة ، أراد أن يساير السائح فى فكرته وأيضاً يضمه إلى صفه ويكسب إعجابه فقال :

- حين بنى الفراعنة الأهرامات لم تكن لديهم هذه الوسائل العلمية المتطورة ، ودول أخرى فى عصرنا توصلت إلى هذه الوسائل وشيدت ناطحات فى مدن أخرى مثل نيويورك .

إلا أن قدماء المصريين استطاعوا بمالديهم من معرفة أن يعملوا مالم يستطع أحد عمله فى عصرهم . فالأهرامات لم تستطع دولة أن تقيم أو تشيد مثلها حتى الآن .

ولكن أحد السياح المعجبين بالآثار المصرية أضاف :

- وهل تستطيع ناطحات السحاب أن تبقى خمسة آلاف عام وتحطم قاعدة العمر الافتراضى .

ولكن السياح مع شعورهم بالانبهار والاستمتاع أرادوا أن يستكمل المرشد هذه الجولة فى منطقة الأهرامات حتى يستمتعوا بما يشاهدونه من عجائب .

أثناء الجولة ابتعدت إيلين عن مسيرة السياح ومضت فى طريق نحو الصحراء ، تقودها قدماها ، خطوة تجر خطوات ، أنظارها تتوه فى الفضاء الممتد أمامها ، وكأنها غارقة فى البحث عن أثر مجهول .

وعلى بعد مرمى البصر لمحت فتحة واسعة عند مرتفع ، فسارت نحوها وكأنها تريد اكتشافها ، وراحت تسير في انحدار فانحدار حتى وقفت عند مدخل سرداب ، وشعاع الشمس يخترق أعماقه وأطلت برأسها لعلها تستكتشف ما بداخله ، ولكن الرمال الناعمة قد انزلقت بقدميها فسقطت إلى أسفل وارتمت على الأرض .

نهضت من سقطتها ، ونفضت ثيابها ، ونظرت ما حولها إذا هو بسرداب عميق تتفرع منه عطفات على الجانبين ، ضوء الشمس لايصل إلى مداه ، ولكنها تشعر بعمق المسافة ، ترددت في السير لكشف المجهول ، ولكنها تسمرت قدمها حينما نظرت إلى أعلى فوجدت فوهة السرداب ترتفع عن هامتها بأمتار .

أفاقت من ورطتها وقالت لنفسها :

- ياإلهى . إنه أعمق مما أتصور .

وهنا أدركت أنها في خطر . جلست على حجر ضخم تفكر ماذا تفعل للخروج من هذا المأزق .

التقطت أنفاسها ، ووقفت فوق الحجر وراحت تنادى بأعلى صوتها:

- أنقذونى . أنا في خطر .

نزعت غلاف دليل الآثار الذى معها ، وصنعت منه بوقًا وراحت تصرخ :

- أنا وقعت في حفرة . ومن يسمعني يسرع إلى النجدة . النجدة . النجدة .

لكن لا آذان قريبة من مكانها تسمع صراخها ، أخرجت آلة التصوير من حقيبتها وراحت تضغط على أزرارها لعلها تبعث شعاعًا تلفت به الأنظار ، لكن لاعيون قريبة تلحظ إشاراتها . التقطت بعض الحصى ، قذفت بها إلى خارج فوهة السرداب ، لعل أحداً يكون ماراً بالصدفة على مقربة منها فيلتفت إلى مصدرها ....

نظرت حولها حجارة صماء ذات أشكال وألوان متناثرة ، من ضخامتها لاتستطيع تحريكها .

من يدحرجها حتى ترصها فوق بعضها وتصنع منها درجات تصعد عليها .

تأملت في أسى ، أشياء موجودة ولكن غير مفيدة ، تناجي نفسها :

– واحسرتاه . كم الإنسان هو تعيس . الصدف تجر أقدامنا والأقدار تكبلها . أى مصير هذا . اعتقد زملاؤها أنها تخلفت عن الوفد دون أن يدروا ، أو أنها تتجول بمفردها ، أو عادت إلى الفندق . ولم يذهب تفكيرهم إلى أبعد من هذا . ولما عادوا إلى الفندق .ولم يجدوها أبلغوا شرطة السياحة التى طافت بالمنطقة فلم تعثر لها على أثر ....

وجدت إيلين حجراً ضخماً مكتوباً عليه سطور باللغة الهيروغليفية ، وراحت تلقى نظراتها على كل سطر منها كأنها تعرف معانية .

أنها تريد ضياع الوقت ونسيان المحنة التى فيها حتى تهبط عليها نجدة من السماء .

تأملت فى نفسها ، كل شئ مجهول ، اللغة ، الصور ، الرسوم . الموقع مكان مهمل . المصير غير معروف . دنت الشمس من الغروب ، انتابها مزيج من الرهبة والحيرة ، الليل وسكون الصحراء وأزيز الرياح . فتحت الحقيبة ، وجدت شطيرة من الخبز . أكلت من غير شهية ، رغبة فى مواصلة الحياة . شربة من قارورة الماء ، تذكرها بأن ينبوع الحياة لايتوقف .

شعرت بالتعب ، شئ من الراحة .

توابيت خالية مرصوصة على الجانبين . دلفت إلى أحدها . تمددت فيه . حدثت نفسها :

– كأننى الملكة نفرتارى .

شردت فى الماضى أيهما أجمل هى أم نفرتارى .

نفرتارى ما أعظمها ، ملكة عصرها وهى جالسة بجوار زوجها رمسيس الثانى فرعون مصر ... أخرجت مرآة من حقيبتها ونظرت فيها :

– وأنا أيضاً جميلة . أمثل بنات عصرى .

مصر دولة عريقة وعظيمة ، وألمانيا دولة حديثة ومتقدمة . أنا لا أغير من نفرتارى ، ولكننى وددت لو التقيت معها وأثنيت عليها .

أدارت مفتاح راديو صغير معها وسمعت خبراً فى نهاية النشرة يقول :

- تاهت سائحة ألمانية فى منطقة الأهرامات لم تعد إلى الفندق . فى العقد الثالث من عمرها . بيضاء اللون . زرقاء العينين . من يجدها يتصل بشرطة السياحة على رقم .... ويحصل على مكافأة كبيرة قدرها .... بقدر ما سعدت بالاهتمام بالبحث عنها بكل الطرق ، إلا أنها حزنت . من يعرف طريقها ؟

(٢)

سيرك الحياة

غرق السرداب فى ظلام دامس . اختفت معالم الأشياء حولها ، الأحجار والتوابيت ، لاتسمع شيئًا إلا أصواتًا بعيدة تتخلل أزيز الرياح فى الصحراء .

أغفت فى التابوت . والعجيب أنها شعرت بالراحة فى حضنه أكثر من السرير فى الفنادق الراقية . وراحت تحلم :

إذا فرعون جالس على كرسى العرش وقد وضع التاج فوق رأسه ، وفى يده صولجان الملك . على جانبى كرسى العرش حارسان يمسكان بمروحتين طويلتين ، وأمامه صفان من الكهنة فى تناسق دقيق .

اقتربت من فرعون . لم يمنعها الحراس . مع فرعون قضيب الذهب ، علامة الرضا. بما قرأت فى التاريخ أنه يحب أن يضم الحسان إلى بيته ، قال فرعون فى ترحيب :

– من أنت ؟

ردت فى تلهف : أنا سائحة ألمانية قدمت لرؤية حضارتكم العظيمة .

– نعم حضارتنا شيدناها بحكمة واقتدار ، كلفنا العلماء . أمرنا العمال . حددنا الأماكن . كل شئ مرسوم . وكل أمر مفهوم .

سألته وقد نسيت نفسها :

– هل هناك ضحايا ؟

– المشروعات القومية المرسومة ضحاياها نادرة .

قالت له :

– هل تصرفون تعويضات للضحايا .

– ماذا تقصدين ؟

قالت :

– أقصد هل لديكم تأمينات اجتماعية كما هو الحال عندنا فى ألمانيا ؟

نظر فرعون إلى كبير الكهنة ليتولى الرد ، فإذا بكبير الكهنة يجمع زملاءه وفى سرعة البرق قالوا فى صوت واحد :

– عاش مولانا فرعون ملك مصر ... مالك الأرض والشعب معًا .

لايموت شخص فى مصر طالما فرعون حى إلى الأبد ....

ارتاح فرعون لهذه الإجابة الذكية وقال لها :

- ما رأيك فى آثارنا ؟

- عديدة ورائعة .

قال فرعون :

- وهل بقيت على حالها ؟

- لا أعتقد . فقد قرأت أن بعض الأيدى قد امتدت إليها بالتخريب أو التهريب .

فنهض فرعون من مكانه :

- ياللهول .

- وبمناسبة أبو الهول . فقد كسر نابليون بونابرت أنفه بقذيفة من مدافعه .

صرخ فرعون :

- ومن هذا المجرم ؟

- إنه إمبراطور فرنسا .

سأل فرعون مستغرباً :

- ومن هى فرنسا هذه ؟

- كانت إحدى الولايات الرومانية ثم استقلت .

قال فرعون :

- ومن هم الرومان ؟

– قوم برابرة ، أقاموا إمبراطورية وضموا مصر إليها ثم ماتوا .

تغير وجه فرعون ، ونظر إلى رئيس الكهنة وقال :

– اطلب قائد الجيش ، وسوف أحارب هؤلاء المعتدين ، حتى لو كانوا فى الجحيم .

اعترضت إيلين وقالت :

– لاداعى للحرب فالحروب قد قاسينا منها كثيراً وقد تسببت فى تدمير بلادى .

قال فرعون متسائلاً :

– ومن الذى أشعل هذه الحرب ؟

قالت وهى مترددة :

– بصراحة . هتلر النازى زعيم ألمانيا . اعتدى على الجيران فوقف العالم ضده .

قال فرعون :

لو كان فى عصرى ، لعرفته متى تكون الحرب ، وعلمته كيف يكون السلام . إن من مبادئنا لا اعتداء على أحد . فالحرب من أجل التحرير . سمعت وقع أقدام ثقيلة لجحافل من الجنود ، ودوى مركبات حربية ، وصهيل خيول يجلجل فى الآفاق ، وضعت يديها على صدرها . وارتاعت وقالت :

– ياربى . هل قامت الحرب ، فرعون أخذ الموضوع بجدية . أنا لم أقصد أثيره . توسلت إلى فرعون ، فأومأ إليها بأن الأمر قد صدر ولايمكن الرجوع فيه ... غشى البهو دخان . أصبح المكان غير واضح سارت إيلين فلم تجد باباً تخرج منه .

تحول الحلم إلى منظر مخيف . هبت من النوم ووجدت نفسها مازالت فى بطن التابوت وراحت تحدث نفسها :

– ياإلهى . لقد نسيت أن أقول لفرعون أخرجنى من هذا السرداب .

بدد ضوء الشمس ظلام السرداب . التفتت من حولها . قفزت من التابوت وكأنها تهبط من سريرها وجدت نفسها وحيدة . ماذا تفعل . أخذت تقرأ فى مجلة كانت بحوزتها .

أرملة ثرية تكتب وصية بأن تؤول كل ثروتها إلى كلبها الوفى ، أقاربها يلعنونها شاب زنجى يشرب دواء كتجربة ليصبح أبيض الشكل ، ولكن فوجئ أن الدواء لم يفرق بين الجلد والشعر فتحول شعره ورموشه إلى اللون الأبيض .

ورفع قضية ضد العالِم مخترع الدواء . معرض للكلاب فى باريس عرض السلالات ومزاد للبيع والشراء الكلاب نباح نباح . والناس جنون ، جنون . مارلين مونرو ممثلة الإغراء تنتحر ، جمال وشهرة وجاذبية تموت ، هل انتحرت باختيارها من شعورها بالتعاسة ، أم أن

المخابرات المركزية الأمريكية اغتالتها لصلتها بالرئيس جون كيندى ، عالم كله هراء . يرتدى ثيابًا ولكنه عريان . شردت بذهنها فى تاريخ البشر . كيف يجمع الحكام حشوداً من أبناء بلادهم ويزجون بهم فى حروب ، يسقط الضحايا فداءً للكراسى والعروش . لا أحد يكسب أرضًا ، إنما الأرض تحتفظ بالدماء ، الإسكندر الأكبر يغزو ثلاث قارات . يموت فى عنفوان الشباب فى بابل على نهر الفرات ، يخرج يديه من التابوت ليقول :

– عريانًا خرجت من بطن أمى وعريانًا أعود ، يوليوس قيصر يجلس على عرش روما ، يضع يديه على أفريقيا وآسيا ، سيد الأرضين ، يشير بأصابعه تتحرك جيوش ، تشق أساطيل عباب البحار ، ولكن عوداً من أصحابه ملأت الغيرة قلوبهم ، وثق فيهم ، غدروا به ، استدرجوه إلى جانب السناتو ، إنهالوا عليه بالخناجر ، هربوا . هتلر يشير بأصابعه ، تنطلق أسراب الطائرات تسبح أساطيل ، تزحف جحافل الجنود . صراخ . دماء أشلاء ، الديناصور يلتهم كل شئ ، ينتفخ ، المياه تجف ، ينحشر ، يقضى على نفسه ، بآخر رصاصة مع عشيقته إيفا براون .

إنهم يولدون أذكياء ، ويموتون أغبياء ، الحياة مأساة وملهاة . دموع وأوجاع . أشخاص يحركون المواقع ، ويصنعون الأحداث ، وفى لحظة يسقطون ولايقومون ، من يعرفنى سيرك الحياة ....

(٣)

مهابة النهاية

فى اليوم الثالث ، استيقظت ، وقد بلغ بها الإعياء أشده ، الوجه شاحب بعد نضارة ، والجسم الممشوق لم يعد فى قوته ، والعقل فى حيرة ، والقلب حزين على حالها .

التفكير لم يعد مجديًا فى مثل هذه المواقف . الإنسان بكل قدراته أصبح قليل الحيلة ، نظراتها تجوب المكان . ويخيل إليها أن نظراتها ترتد إليها ، وأن الأشياء حولها تتحرك بدون صوت أو أثر ثعلب جائع ينزل فى السرداب . هى قابعة فى ركن بجوار التابوت . الثعلب يتسلل إلى مكانها ، يبدو عليه الجوع ، الاثنان خائفان ، هو يخشاها أن تقتله ، وهى تخشاه أن ينهش جسدها بعد موتها .

لكن الاثنين يتفقان على شئ واحد ، هى تريد الخروج من هذه الحفرة ، وهو يبحث عن شئ فيها ، ونظرت إليه وقالت :

- أنت مثل بعض الناس ، يجيدون صفتين ، الجبن والغدر .

أخرجت ورقة وقلما وراحت تكتب رسائل .... يمكن أن تلقيها على الأرض ، والثعلب يأخذ إحداها فى أرجله . ربما تقع تحت بصر أحد الناس .

رسالة إلى الأمم المتحدة :

– السلام فى خطر . أين دورها .

رسالة إلى ألمانيا :

– أنا فى ورطة . ماذا تنفعنى تكنولوجيا بلادى .

رسالة إلى مصر :

– صونوا الآثار . لاتغفلوا عن السياح .

رسالة إلى أسرتها :

– تدعوها للصلاة من أجلها . وأن ترسل إلى مكتب الحانوتية ليجهز مراسم الجنازة ، وأن يدفنوها فى مدينتها إذا وجدوها .

الثعلب واقف كأنه ساعي بريد ينتظر حمل هذه الرسائل .

– سرحت بخيالها . وتذكرت أن علماء الآثار يأتون ليكشفوا عن أسرار هؤلاء الفراعنة ، ولكنها أصبحت سراً يشغل صحف العالم إلى فترة . لاأعتقد أننى جنيت ذنباً . لكن الأقدار لاتفرق بين البشر .

الموت اختيار بالانتحار ، أو إجبار بالإعدام . وهى فى هذه الحالة لاهذه ولاتلك .... صحيح أن عظماء فى التاريخ ، لقوا مصرعهم فى الصحارى والجبال والبحار ولم يعثروا على جثثهم ولم يقيموا لهم مراسم الوداع ، أحداث وأقدار ، كبار وصغار ..

سالت دموعها على وجنتيها فزادت إحمراراً .

أصبحت عروسًا في أبهى صورة تقدم نفسها إلى ملاك الموت .

البكاء يشفى الغليل أحيانًا لكنه لايغير واقعًا يخفف بعض الأحزان ولكنه لايزيل مصدرها . إنه علاج مجانى والدموع دواء يتعاطاه المظلمون والمجربون .....

دلفت إلى التابوت ، غاصت فى جوفه ، راحت تحلم :

أن وفدًا من الحانوتية فى أمريكا حضروا إلى مصر لدراسة أساليب دفن الموتى ومعرفة طرق التحنيط عند قدماء المصريين بمشاهدة المومياوات على الواقع . وأن المصورين أخذوا يلاحقون الوفد ويلتقطون لهم الصور ، وأن الصحفيين يلهثون وراءهم للحصول على تصريحات للنشر فى الصحف .

وقالت فى نفسها :

- أنا أصبحت مومياء حية ، ولكن بدون تحنيط . أرادت أن تقترب من الوفد ، ولكن الوفد لم يلتفت إليها ، فهو مشغول فى مؤتمر صحفى يذا ع على أجهزة التليفزيون والفضائيات .

فسأل أحد الصحفيين الوفد :

وما الذى جعلكم تهتمون بهذا الموضوع ؟

قال رئيس الوفد فى حماسة :

- إن أمريكا تغلبت على كثير من مشكلات الحياة . والرأسماليون هناك لايريدون أن يموتوا مثل عامة الناس ويرغبون فى تحنيط أجسادهم مثل قدماء المصريين .

صرخت إيلين فى وجوههم :

- رفاهية فى الحياة وفشخرة فى الموت . لم يسمع لها أحد من ضجيج الحضور وومضات آلات التصوير ..

رجعت إلى نفسها . لم تشعر بالرضا أكثر مما تشعربه الآن . إن الإنسان فى حالته هذه لابد أن يرضى بإرادة الله .

تاقت نفسها إلى الحياة الآخرة ، هى مصير كل حى ، فلماذا الهروب من هذا المصير ؟

الثعلب يعيث بكل شئ ، الحقيقة والأوراق . تعلقت الحقيبة فى عنقه ، والمذياع مازال يعمل ، فزع من صوت المذياع ، راح يلف ويجرى تعلقت قطعة من الأوراق بمخالبه . قفز من السرداب ، وراح يتجول كالعادة فى منطقة الأهرامات .

سقطت الحقيبة على الأرض ، وجدها أحد الخفراء ، التقطها ، ماذا يفعل .

اتجه بها إلى مكتب الأمن . لايعرف سرها . ولكنه يخشى من المسئولية بفطرته .

فحصها الضابط ، تذكر السائحة الغائبة . فرقة من الشرطة تتحرك . اختفى أثر أقدام الثعلب وقصاصات الورق .

لفت نظره فوهة السرداب ، مضى إليه ، تدلى بعض الجنود بالحبال .

وجدوا إيلين بيرجر وقد رقدت فى التابوت رقدتها الأخيرة . نامت كأنها ملكة فرعونية . الوجه إلى أعلى . العينان مغمضتان .... الجسم ممدود . اليدان مبسوطتان إلى الجانبين . القدمان متلاصقتان ...

وقف الجنود مشدوهين ...

أغلق المحضر . هل هذا صدفة ؟ أم قضاء ؟ أم اختارت الموت على طريقة الفراعنة ؟ ....

الأحلام الجريحة

(١)

بعد عناء فى التفكير لم يجد بداً إلا تتبع شتى الإعلانات فى الصحف .

« أرض فضاء فى منطقة » إعلان وإغراء وانبهار راح يفرك عينيه وكأنه يرى الأرض أمامه ، وقال يحدث نفسه :

– مهندس شاب ، مقاول جرئ ، عمال صعايدة من نتاج الفول المسلح وتعلن عن « برج المحرومين » مقدمات معقولة ، وأقساط فى متناول الجميع .

مائة شقة فى خمسة آلاف جنيه ، راح يحسب على يديه ... نصف مليون جنيه . يبدأ العمل . أقساط الحاجزين تتوالى الناس يشمون رائحة الأسمنت والظلط يتخيلون الشقق ، يتزاحمون ، يتسألون ، يتحايلون ... الشقة فى هذه الأيام أهم من القبر . المسكن قد يحل مشكلات ، فهو يستر الإنسان من فقره ، لاأحد يعرف معيشته ، يريح الكنة من حماتها ، الجيل الجديد أصبح يميل إلى الاستقلال ، فالبيت الكبير لم يعد يسع كما كان فى الماضى .

فهو لايسع الأخوين بينما القبر يسع الكثيرين وربما يضم الأعداء .

لكن تفكيره توقف فجأة حين تذكر ما سمعه عن أخبار العمارات التى تنهار بدون إنذار ، وتعسر بعض السكان فى سداد الأقساط ، وأساليب ملتوية عند استخراج تراخيص البناء ، وما يثار حول صعوبة استخراج رخصة بدون تدخل من « لحلوح أفندى» صرف النظر عن المشروع ، وانهارت الفكرة من أساسها . آه صفحة السيارات . سوق السيارات ياه ، ولا سوق البهائم . أشكال وألوان وأنواع . مناظر تهبل . تماسيح . خنازير . وربما جواميس . الواحد يأخذ قرضًا من البنك ويشترى ميكروباص يقف وينادى فى العتبة :

« اللى رايح من العتبة . المنيب – موقف الصعيد » جميع الطرق توصل . شوارع . كبارى . أنفاق . الواحد يلف مصر كلها ، منها منفعة ومنها فسحة ، لاداعى المشروع . الركاب تقطع المصارين ، كله ولا أزمة الفكة . أفضل شئ تويوتا نصف نقل ، يابانى » أنقل البهائم فى الصباح الباكر إلى الأسواق وعند الرجوع أركب زبائن وطلاب إلى المدارس . وكل وقت وله زبائن . لاداعى للمشروع ، السيارات وراؤها مصائب . منشار المرور . عفريت الضرائب . كابوس التأمينات . خداع المطبات . عنطزة الميكانيكى . وفشلت عجلة المشروع .

سمع عن المشروعات الصغيرة لتشغيل الشباب . آه . فكرة . مصنع للحلويات ، قرض صغير . ماكينة خلط المواد ، ماكينة لتقطيع الحلوى . مجموعة من الصبية تجمع وتلف فى الأغلفة ، وترص فى العلب وتضع فى الكراتين .

ياسلام . أصبح للحلويات سوق رائجة فى جميع البلاد . الأطفال أضمن زبائن ، يلحون على أمهاتهم . لم تعد لهن القدرة على احتمال رزالتهم . فيقمن بدسّ قطع النقود فى أيديهم حتى يبعدوا عنهن . الناس يجدون فى قطع الحلوى تسلية للبحث عن علامات الكسب السريع ، تلفاز ، ثلاجة ، سيارة ، شقة . مداعبة الخيال ولاقطع الأمل .

العجائز أصبحن أحدث الزبائن ، بعد أن منحت الدولة لهم معاشًا مضمونًا استبدلوا أسنانهم المهتومة بأطقم أسنان صناعية ، يريدون أن يستمتعوا بحياتهم ، الرجوع إلى الطفولة لاحياة بدون حلويات . والأجمل ما تعود عليه عامة الناس فى المناسبات عند زيارة المرضى أو تقديم التهانى من حمل لفائف الحلوى تعبيرًا عن المشاعر .

مشروع سهل . مضمون العائد . المواد محلية ، لا استيراد ولا جمارك .

التوزيع سهل ، دراجة بصندوق . شاب من العاطلين مثلى يقوم بهذا العمل . يمر على محلات القرى لتوصيل الطلبات إلى التجار فى محلاتهم .

الفلاحون أصبح لهم نفس . ليس الخبز مهمًا ، الحلوى ألذ ، لاداعى لأن نصنع حلوى غالية الثمن . يكفى أن تكون القطعة بخمسة قروش ، لاسعر يعلو عن سعر رغيف الخبز . ولكنه ما كاد يفيق من خيال مشروع الحلويات حتى قرأ خبرًا فى صفحة الحوادث بالصحف .

« تسمم بعض التلاميذ من جراء تناولهم حلويات مكشوفة من الباعة الجائلين »

هاصت الصحف . التلاميذ نقلوا إلى المستشفى الناس يتسألون : من المسئول ؟ أين الرقابة ؟ المسئولون يصرحون ، العقاب ، الضرب بيد من حديد لكل من تسول له نفسه الإضرار بحياة الشعب .

قال فى نفسه :

– ياخبر أسود . يعنى دى قضية أمن عام . لاياعم . وفاة طفل تسبب إزعاجًا فى الدولة . الله الغنى عن هذا المشروع الحلو الذى قد يقطر بالمرارة . غانيك عن مفتش الصحة ومفتش التموين ، والسجل التجارى وغيرهم .

(٢)

رأى فتيان القرية ، يخرجون مبكرًا من القرية ، وهم يحملون حقائب كبيرة ، أكبر من أجسامهم ، بها بضائع وهم ينادون عليها فى القرى والنجوع البعيدة وهم يصيحون :

– بضاعة بورسعيد .

أبوه يريد منه أن يعمل معه فى قطعة الأرض الصغيرة التى استاجرها من أحد الموظفين الذى يعمل فى القاهرة ، ويأتى كل عام ليحصل على الإيجار وأبوه يستعطفه لكى يخفض الإيجار والذى أصبح عبئًا عليه لأرض لم تعد تعطى محصولاً يغطى تكاليف الزراعة .

استعاد النظر ، رأى أنه لابد أن يتاجر مثل أقرانه ، أخذ ملاءة من البيت وطلب من أمه أن تصنع منها كيسًا ، وضع فيها بعض السلع وركب القطار معهم ، نزل فى إحدى البلاد ، توجه إلى قرية بعيدة حتى لايعرفه أحد .

شاهد وهو يسير وسط زراعات القصب الكثيفة ، نجعًا يضم تجمعًا سكانيًا ، أنزل الكيس من على كتفه » جلس بجوار حقل القصب ، أخذ عودًا وراح يتسلى حتى يسترد أنفاسه .

اقترب من التجمع ، وهنا خرجت عليه كلاب تنبح كأنها ترفض حضوره . خاف منها .

وخرجت امرأة عجوز وسألته عمن يريد ، رد عليها فى حياء :

– إننى بائع بضائع بورسعيد .

قالت العجوز وهى تتأمله :

– ياابنى : أنت شاب بكامل صحتك ، أبحث لك عن عمل آخر .

شعر بالخجل . أدار ظهره . دون أن ينبس بينك شفة . رجع إلى محطة القطار . ركب أول قطار قادم ، وما أن وضع قدميه فى العربة حتى وجد الكمسارى أمامه :

– تذكرتك .

قال للكمسارى فى هدوء :

- أنا بائع .....

قال الكمسارى وقد رفع حاجبيه عن النظارة :

هذا الوضع انتهى من زمن بعيد . هيئة السكة الحديد تريد زيادة إيراداتها . لاركوب مجانى . اضطر أن يدفع الأجرة مع الغرامة .

دخل البيت مقهوراً وهو يحمل هموماً أكبر من طاقته ، سألته أمه :

- ماذا جرى لك ؟

قال باقتطاب :

- لاشئ .

وطلب أن تقدم له ما لديها من طعام .

خطرت له فكرة . بدلاً من تعريض نفسه للأخطار ، وتوتر الأعصاب فى التجوال فى البلاد البعيدة ، فلماذا لايجرب أعمالا خفيفة ، حقيبة صغيرة يحملها بيده ويمر على المصالح والهيئات .

موظفون جالسون على مكاتبهم ، لا شغل غير قراءة الصحف ، وموظفات يقضين معظم الوقت فى تناول السندويشات وشرب الشاى ، يتسلون بأى شئ . الواحد يمر على هذه الأماكن وفى الحقيبة مجموعة من السلع والأدوات الكتابية ، أدوات زينة لعب أطفال ، ماكينات حلاقة ، برفانات ....

النساء أكثر الزبائن يملن إلى الفرجة ، الواحد يحتاج إلى الصبر معهن ، النساء يرغبن فى الشراء من الحوافز التى يحصلن عليها ، فالأزواج لايعلمون شيئًا عن هذه الحوافز .

راح يتجول ويتردد على المصالح ، عَزّت عليه نفسه ، وجد بعض زملائه وأقرانه في المدرسة وقد التحقوا بالعمل في هذه الجهات ، لايعرف كيف التحقوا ؟ مسابقة ؟ أم واسطة ؟ أم شئ آخر ؟

رجع إلى البيت مهموماً وحزيناً ، ماذا يفعل ، حصل على شهادة ، فالعمل بضمير لا يبشر بعائد مقبول ، والعمل بدون ضمير يعرضه لأخطار غير معروفة .

وقد رأى ما هو أعجب .... بعض الشباب حاصلون على مؤهلات . يمتلئون فتوة وحيوية . أجسام تهد الجبال . افترشوا الأرصفة وقد عرضوا أنواعًا من السلع ، وارد دول شرق آسيا .

هذه السلع ذات ألوان وأشكال . زهيدة الثمن . إبر حياكة ، أقلام رصاص ، أدوات مطبخ . أمشاط تصفيف الشعر ، ولاعات ..... هذه البضاعة لازمة لكل بيت . والناس من ارتفاع الأسعار يجرون وراء الأرخص .... وأغلب الزبائن من ستات البيوت اللاتى يقبلن على الشراء وكأنهن وجدن الكنز المكنون ، أسعارها أرخص من المعروض فى المحلات ، وإن كان عمرها الافتراضى غير مضمون . وإن كان قد رأى من المتاعب فى تجواله فى القرى والنجوع ، إلا أن ما يعانيه هؤلاء الشباب أكثر .

فهو يخشى بطبيعته شرطة المرافق التى تمر فجأة وتطارد الباعة الجائلين ، أو مسئولي مجلس الحى الذين قد يأخذونه مخالفة « أشغال طريق » وتضييع البضاعة مع الغرامة ..... الذهاب إلى النيل ونسأل عن الحظ .

جلس على حافة النيل ، تحت ظل شجرة أمسك بقصبة طويلة لصيد السمك . فرد الخيط وألقى بالسنارة فى الماء ، أنه يبحث عن سمكة ، يريد أن يلتقط بخته فى جوف النيل .

المكان أروع مايكون ، الإنسان ينسى الهموم ، الماء يجرى ، يدفع نبات الورد أمامه ، موجة تجرى وراء موجة .

قوارب الصيادين تجوب النهر بحثًا عن الأرزاق ، راح يتجول ببصره ، على الضفة الشرقية نساء نزلن إلى مياه النيل ، البعض يملأن الجرار ، والبعض وضعن « الطشوت » على حافة النهر يغسلن الملابس ، وصبايا وصبية صغار يضربون بعضهم بحبات المياه .

يرى هذه الأجسام تتحرك ، تقف وتقعد ، تتمايل وتعتدل ، ولكنه لايرى ملامح الوجوه .

وإن كان يتخيل جمال وجوههن ، وعذوبة حدثيهن ، وانسياب شعورهن ، ولكن كثيراً ما يكون الواقع أقل جاذبية من الخيال .

ولم يقطع بصره إلا مركب ازدانت بالأعلام والمصابيح وهى تحمل عروسين تحيط بهما بنات فى ثيابهن الفاقعة الألوان ، ورحن يصفقن بأيديهن الناعمة . والمركب تحف به قوارب حملت رجالاً وصبيانًا ، وانطلقت أعيرة الرصاص من بنادقهم وكأنها تحمل أصوات الزغاريد إلى الفضاء .

مركب العروس قادمة من قرية من الجنوب متجهة إلى قرية فى الشمال ، منظر لم يألفه من قبل . هذه أول مرة يرى فيها زفاف عروسين

على سطح مياه النيل ... ربما عادوا بالتاريخ إلى الوراء ، فقد نسينا مجرى النيل ، ولم نعرفه إلا مصدراً للمياه ، ولم نجد فيه إلا الأسماك للغذاء ، ولكننا لم نصل بعد إلى ما هو أبعد وهو الاستمتاع بهذا النهر العظيم فى حياتنا ونشاطنا وسفرنا .

وما هى إلا لحظات ، إلا وتقاطر أفراد من رجال ونساء ، وجوه كساها الحزن ، عيون زائغة ، الخطوات تسير متثاقلة ، وكأنها قادمة من بعيد ، أنفاسهم تدل على أنهم كابدوا المشقة أثناء سيرهم ، سألوه فى صوت واحد :

– ياحضرة . هل رأيت جثة طافية على وجه المياه أمامك ؟

فوجئ بالسؤال ، واهتزت قصبة الصيد من يده ، وهب واقفاً ، إنه يسمع عن هذه الأمور ، ولكنه لم يبصر شيئًا كهذا .

فقال لهم وكأن لسانه قد انعقد :

– لا . أننى لم أشاهد جثة طافية منذ أن ولدت .

فقالوا له فى رجاء :

– لاتخف . نحن سائرون على ضفاف النيل مسافة طويلة من الجنوب متجهين إلى الشمال ، سائرين مع تيار المياه ، ونسأل كل من يصادفنا على الشاطئ هل شاهد هذه الجثة ؟ أنها تهم العائلة .

فنطقت امرأة والدموع تذرف من عينيها ، ولعلها أمه ، أو زوجته ، أو أخته ، وقالت له باستعطاف :

- ربنا يابني لايريك مصيبة ، أخبرنا .

فأومأ برأسه ولم يستطع أن ينطق ، فانطلقوا فى طريقهم .

وجلس على الحجر وهو يلتقط أنفاسه ...

وانشقت الأرض عن عصبة من الرجال المسلحين ، يرفعون بنادق ورشاشات ، عيونهم تجول فى جميع الجهات ، كأنهم يبحثون عن ضحية .

وقد وضعوا أقنعة على وجوههم إمعانًا فى التخفى ، أنهم أهل الثأر يطاردون شخصًا للثأر منه ، ينقبون عنه وكأنهم يغربلون تراب الأرض .

وتسلل هؤلاء الرجال إلى داخل إحدى الحدائق ، بجوار النهر ، ودوت طلقات الرصاص وهى تنهمر كالمطر فى كل اتجاه .

تحولت السماء إلى صفحة حمراء ، دوى الرصاص يصم الآذان ويهز الأبدان .

هرول مسرعًا وهو ينتفض ، ترك قصبة الصيد ، وانزوى خلف صخرة وراح يراقب الناس على ضفتى النيل .

النساء جرين مذعورات وقد تركن الطشوت بملابس الغسيل ، والبنات أسرعن خائفات إلى بيوتهن بدون جرار المياه . أما موكب العريس فمال واحتمى بإحدى الجزر القريبة وقد انقطعت الزغاريد وسكتت الطبول .... فالرصاص فى الصعيد لايميز بين الناس ، الكل

عنده سواء ، فالحظ العاثر كثيراً ما يجعل هناك ضحايا أبرياء إلى جانب القتلى المقصودين . أما جماعة الناس الذين كانوا سائرين باحثين عن جثة قريبهم ، فقد انبطحوا على الأرض ، ولكن عيونهم تتجه نحو سطح النيل وهم يرقبون عيدان ورد النيل لعلها تحمل فى طياتها جثة قريبهم هذا .

والطيور أسرعت مذعورة إلى أعشاشها . تبحث عن الأمان تاركة البشر فى صراعهم .

تغيرت صورة الحياة أمامه ، فقد ساد المكان سكون ، وخيم الصمت على الجميع ، فلا صوت ولاحركة ولاشئ يدل على أن هذا المكان تدب فيه الحياة .

وضع رأسه بين كفيه ، وأخذ يفكر فيما يجرى فى هذه الحياة ، وسلوك الناس فى الواقع ، وماذا يريدون من بعضهم .

نظر إلى هذا النهر الذى ينساب في هدوء ، فمنذ أن شق طريقه في الوادي وهو يحمل على كاهله أسراراً . فكم اندلعت حروب حول ضفتيه وكم سارت جحافل بحذا شاطئيه .

فالنيل ليس مقبرة للغزاة فحسب ، بل أيضاً موضع إغراء للعلماء ، ومنبع إلهام للشعراء ، وكم لاقت فيه نفوس حتفها غرقاً أو انتحاراً . ياله من نهر قدسه قدماء المصريين بل رفعوه إلى مقام الآلهة ....

أخذ يزحف بين الأشجار ، وهو يريد أن يصل إلى البيت بأى طريقة ويفلت من هذا الخطر الذى لايعرف مداه .

وعندما وصل إلى البيت ، أمسك بالقلة ورفعها على فمه وراح يشرب ويشرب وكأنه يريد أن يطفئ ظمأ السنين .

وألقى بجسمه على أقرب فراش وسرح بفكره عما يحدث، فالناس يبحثون عن المتاعب والمتاعب تلاحقهم ، وراح يسترجع هذه الصورة الغريبة التى مرت أمامه . كُلٌّ يقصد شيئًا ما . صيد لم يتحقق ، عرس يتجول ، مأتم يتحرك ، ثأر مطلوب . ما هذا ؟

وراح يسأل ... هل رجعت النساء لأخذ طشوتهن ؟ هل أصاب الفزع العريس ؟ ربما لاينجب ... قلوب الأهل المحروقة هل وجدوا جثة قريبهم هذا ؟ أهل الثأر هل قتلوا جانيًا أم بريئًا ؟ لايعرف ، لقد نفض آماله وألقى بها فى النيل فهى ليست أعز من الضحايا .

وبعد أن استغرقه التفكير بين الأحلام الجريحة والرغبات المشروعة انتهى إلى فكرة .... إنه يكفى للإنسان فى هذا الوادى أن ينفد بجلده ، ويبحث له عن مكان أرحب فى بقاع الصحراء التى تنادى الشباب .

يتألف الكتاب من عشر قصص قصيرة تسبقها مقدمة المؤلف .

القصص فى عمومها كلاسيكية البناء واللغة ، وتتواءم تمامًا مع عمر صاحبها وتجربته التى عرضها فى المقدمة والتعريف الختامى . وبرغم أن هذا هو كتابه الأول ، فإن كتابته فى مجملها تتسم بالطلاقة وعدم التعثر ، سواء من جهة اللغة أو من جهة طريقة الحكى التى لا تعاني من معضلات المبتدئين .

ويمكن أن نتوقف عند استهلاله لإحدى القصص :

« أبو سليمان تاجر طيب . معروف بين التجار بأنه منافس شريف فى السوق . لايضارب بالأسعار ، ولايحتكر السلع ، لايفعل أى شئ فى سبيل ضرب تاجر آخر بخسارة مهما بلغ العداء بينهما .

السوق أمامه مثل نهر النيل ، يتسع بالرواج ويضيق بالكساد ..»

من الواضح أن لغة الكاتب وطريقته فى الوصف ، لاتعوقها حذلقة ولارغبة فى التزين اللغوى والبلاغى ، وإنما يذهب إلى هدفه بأيسر عبارة وأقصر طريق . وقصصه معنية بالحكايات الحية السهلة ، أكثر من عنايتها بالحبكة وطريقة السرد وألاعيبه ومهاراته .

ولننظر فى استهلال قصة أخرى ، مثل قصة « زرع .. حصد » :

« دوار العمدة يقع فى وسط القرية ، البيوت متناثرة تربط بين نجوعها قنوات المياه وأشجار النخيل ، يعود الناس من حقولهم وقد جلسوا فى استرخاء تحت جدران البيوت وعند جذوع الأشجار .

يخرج العمدة من دوار العمدية وقت الأصيل ، يرفل فى ثيابه الفضفاضة ، وفى يده عصاه المصنوعة من خشب الأبنوس .

يسير العمدة فى شموخ يتفقد الرعية ومعه شيخ البلد ، ويقتفى أثرهما شيخ الخفراء حاملاً بندقيته ، يهب الناس من قعودهم واقفين تحية للعمدة ، يلقى عليهم السلام ، فيردون عليه فى صوت واحد . العمدة فى يده مصير القرية وشئون سكانها . طاحونة العمدة يطحن فيها الفلاحون غلالهم ، ماكينة الرى تروى حقولهم وتسقى مواشيهم ، تليفون العمدة وسيلة الاتصال بينهم وبين العالم . دوار العمدة هو مكان الصلح بينهم أو مقر الحكم عليهم ...»

ورغم التقليدية التى تتسم بها القصص فى عمومها ، ورغم أن بعض القصص يقترب من كونه تلخيصاً لرواية أطول ، فإن الكتاب فى مجمله يقدم كاتبًا من جيل مضى ، يملك أدوات كاتب قصة يستحق أن تقدمه سلسلة الكتاب الأول ؛ لأنه يحمل مذاقًا مختلفا عن السرو السائد فى أيامنا هذه ، ولأنه يقدم عالما ربما نحتاج إلى رؤيته من جديد ، وبعيون عارفة ومتعاطفة .

خيرى دومه .

٢٠٠٩/٤/٢٦

الفهرس

الكاتب ،

ماهر فرج بشاى الدويرى

ولد فى قرية الدوير / محافظة أسيوط فى ١٩٤٢/٦/١

- تخرج فى كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٦٦

- يعمل مدرسا فى محافظة أسيوط .

لجنة الكتاب الأول

خيرى شلبى [مقرراً]

أمينة زيدان

خيرى دومة

سيد الوكيل

شيرين أبو النجا

عز الدين نجيب

مجدى جرجس

محمد كشيك

مسعود شومان

مصطفى الضبع

مصطفى عبد الله

مهدى بندق

صدر من الكتاب الأول

١ - صحراء على حدة	قصص	عاطف سليمان
٢ - دراسة فى تعدى النص	نقد	وليد الخشاب
٣ - حدث سراً	قصص	أمينة زيدان
٤ - رسوم متحركة	شعر	صادق شرشر
٥ - ليس سواكما	شعر	عبد الوهاب داود
٦ - احتمالات غموض الورد	شعر	طارق هاشم
٧ - تدريبات على الجملة الاعتراضية	قصص	مصطفى ذكرى
٨ - كلوديوس	مسرحية	محمد السلامونى
٩ - مسرحيتان من زمن التشخيص	مسرحية	محسن مصيلحى
١٠ - ليكن	شعر	هدى حسين
١١ - أحلام الجنرال	مسرحية	محمد رزيق
١٢ - حفنة شعر أصفر	قصص	محمد حسان
١٣ - يستلقى على دفء الصدف	شعر	عطية حسن
١٤ - النيل والمصريون	دراسة	حمدى أبو كيلة
١٥ - الأسماء لاتليق بالأماكن	شعر	عزمى عبد الوهاب
١٦ - العفو والسماح	قصص	خالد منتصر

١٧ - ناقد فى كواليس المسرح	دراسة	مصطفى عبد الحميد
١٨ - أطياف شعرية	نقد	عبد الله السمطى
١٩ - أنا	نصوص	غادة عبد المنعم
٢٠ - سارق الضوء	قصص	ليالى أحمد
٢١ - رجع الأصداء	نقد	جليلة طريطر
٢٢ - شروخ الوقت	شعر	ماهر حسن
٢٣ - أغنية للخريف	قصص	عاطف فتحى
٢٤ - بائع الأقنعة	مسرحية	صلاح الوسيمى
٢٥ - بائع الأقنعة	قصص	شوقى عبد الحميد
٢٦ - كوجهك حين ارتحال الصباح	شعر	خالد حمدان
٢٧ - وشيش البحر	رواية	أمانى خليل
٢٨ - ناصية سليمان	قصص	مجدى حسنين
٢٩ - أغنية الولد الفوضوى	شعر	محمود المغربى
٣٠ - سؤال فى الوقت الضائع	قصص	مدحت يوسف
٣١ - كرحم غابة	شعر	خالد أبو بكر
٣٢ - الآخر	مسرحية	ياسر علام
٣٣ - جسر الأصابع	شعر	أشرف يونس
٣٤ - سقوط ثمرة وحيدة	قصص	حسن صبرى
٣٥ - أمسيات عائلية	شعر	سعيد أبو طالب
٣٦ - ملامح وأحوال	نقد	ناصر عراق
٣٧ - كتابة الصورة	نقد	محمد مختار
٣٨ - نتاج الخوف	مسرحية	ناصر العزبى

٣٩- عناصر الإضحاك فى مسرح بديع خيرى	نقد	محمد زعيمة
٤٠- أولى	حكايات	محمد ناصر
٤١- وهج الكتابة	نقد	حسان بورقية
٤٢- البنت مصرية	قصص	مصطفى الشافعى
٤٣- قبل اكتمال القرن	رواية	ذكرى نادر
٤٤- تجرى بسرعة فائقة	شعر	سحر سامى
٤٥ - تفكيك الرواية	نقد	فتحى أبو رفيعة
٤٦ - نفس طويل	قصص	رانـدا طه
٤٧ - الميتامورفوسيس فى المسرح الحديث	نقد	مروة مهدى
٤٨ - فى السنة أيام زيادة	شعر	جمال فتحى
٤٩ - ماتحاولش	مسرحية	مصطفى سعد
٥٠ - الفن الفطرى فى مصر	نقد	ضحى أحمد
٥١ - كائن خرافى غايته الثرثرة	شعر	نجاة على
٥٢ - لون هارب من قوس قزح	رواية	منى الشيمى
٥٣ - الشرك	قصص	ليلى الرملى
٥٤ - رغبات	قصص	فارس سعد
٥٥ - لن تدرك سرك	رواية	أحمد عادل القضابى
٥٦ - حاجات تانية	شعر	محمد عبد الحميد دغيدى
٥٧ - خازنة الماء	شعر	فتحى عبد السميع
٥٨ - قص ولصق	قصص	مجدى عبد الهادى
٥٩ - عيون سمارة	أوبريت	فرغلى مهران
٦٠ - السير نحو نقطة مفترضة	نقد	محمد أحمد العشيرى

٦١ - وخز كان	قصص	أحمد كمال زكى
٦٢ - أثر الأعمال الأدبية فى الملتقى	نقد	فاطمة فوزى
٦٣ - الروائيون المصريون الجدد	نقد	أحمد الشريف
٦٤ - مذكرات دوناكيشوته	قصص	أمنية طلعت
٦٥ - أنساق اللغة المسرحية	نقد	حاتم حافظ
٦٦ - تغييرات فنية	قصص	نائل الطوخى
٦٧ - محاورات الضوء والظل	نقد	عبد الغنى السيد
٦٨ - النقد المعاصر للفكر السياسى	نقد	أشرف منصور
٦٩ - لونه أزرق بطريقة محزنة	قصص	محمد صلاح العزب
٧٠ - أغنية للمساء الحزين	قصص	أيمن الخراط
٧١ - موكب الجنون	قصص	صبرى عبد الحفيظ
٧٢ - حروب وهزائم	شعر	منتصر عبد الموجود
٧٣ - فى انتظار شىء ما	قصص	أسامة قرمان
٧٤ - هيمنة الغائب	نقد	علاء الجابرى
٧٥ - حماقة	شعر	يحيى زكريا
٧٦ - بدايات قلقة	قصص	جمال الجزيرى
٧٧ - غواية النص وقراءة اللعب	نقد	سيد عبد الله
٧٨ - قصايد للبنات	شعر	صابر محمد فرج
٧٩ - مجرد شكل	قصص	مجدى عبد المجيد خاطر
٨٠ - حفرة للعب	شعر	مها شهاب الدين
٨١ - بورتريه لجسد محترق	رواية	أحمد عامر
٨٢ - العشق مصباح الجسد	شعر	مدحت علام

٨٣ - شجرة جافة للصلب	قصص	هانى عبد المريد
٨٤ - أغنية عن بندقية	قصص	صلاح عساف
٨٥ - ولد خيبان	شعر	سالم الشهبانى
٨٦ - العولمة وقضايا الهوية والثقافية	دراسة	ماهر الضبع
٨٧ - تماثيل الملح	رواية	محمد كمال حسن
٨٨ - الخيال	شعر	عبد الرحمن آدم
٨٩ - عذراً .. لن أشارك فى الاحتفال	شعر	كمال عبد الرحيم
٩٠ - يوم تكلم الظل	قصص	منى محيى الدين
٩١ - الخيال المسافر	قصص	منى محيى الدين
٩٢ - نضارة نظر	شعر	محمود رضوان
٩٣ - الطير فى الشعر المصرى المعاصر	دراسة	عماد حسيب محمد
٩٤ - ثم	رواية	حسين منصور
٩٥ - فركة كعب	رواية	دعاء فتوح
٩٦ - العربات المعطلة	شعر	هانى صلاح العكل
٩٧ - يوم يكون الراعى	شعر	كمال على مهدى
٩٨ - نوبة عطش	شعر	عبد اللطيف مبارك
٩٩ - تحت خط الضحك	شعر	مصطفى الحسينى
١٠٠- باينى كبرت	شعر	أحمد عبيد
١٠١- رابعهم كلبهم	قصص	هيثم خيرى
١٠٢- أسرار البصطامى	قصص	عبد العزيز السماحى
١٠٣- للبحر كلام متأجل	شعر	عبد اللطيف أحمد
١٠٤- تعود أن تموت	شعر	عادل محمد أحمد

١٠٥- لسبب ما — قصص — آمال الشاذلى

١٠٦ - قلب أراجوز — شعر — إبراهيم الرفاعى

١٠٧ - منزل الروح — شعر — إيهاب البشبيشى

١٠٨ - لعلكم تهتدون — شعر — محمود عبد الرازق

١٠٩ - جايز ترتاح — شعر — السعيد المصرى

١١٠ - الرائى وقداس الحجر — شعر — صالح أحمد

١١١ - البعثة — قصص — أحمد حمدان

١١٢ - صباح يأتى لك — شعر — أسماء عواد

١١٣ - بيكار معزوفة الكلمة والفرشاه — دراسة — إيناس الهندى

١١٤ - حياة من طرف واحد — شعر — محمد عبد الحى

١١٥ - ذاكرة مشقوية — قصص — حسان دهشان

١١٦ - المرأة فى المخيال الجمعى — دراسة — أحمد عبد الحميد النجار

١١٧ - شتاء عجوز — شعر — سيد عبد الرحيم

١١٨ - ركن فاخر — شعر — مجدى عطية

١١٩ - الألفا — شعر — بدر الدين محمود


المجلس
الأعلى
للثقافة